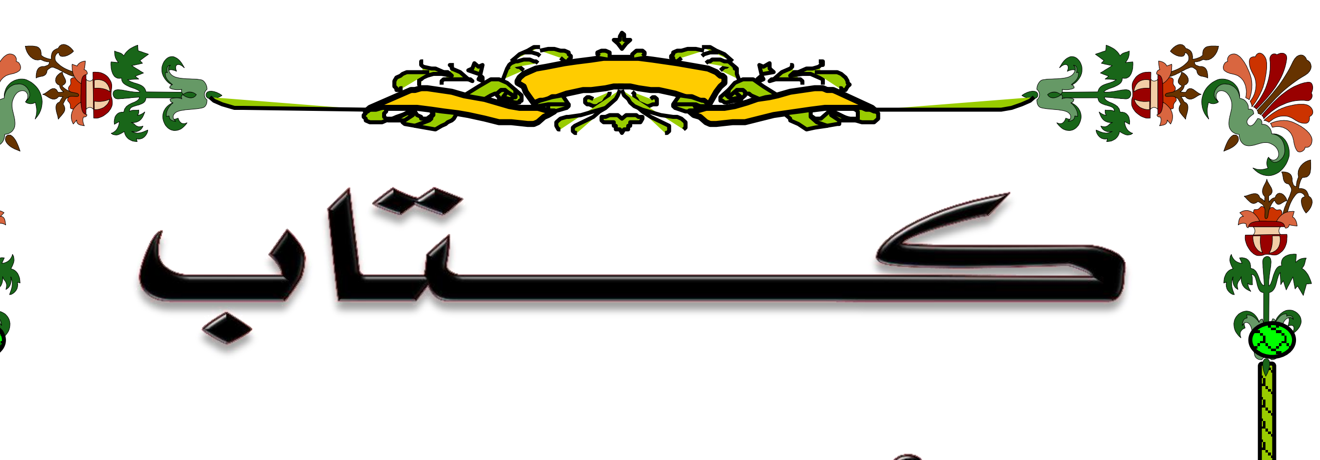


كتاب
الدُر الثمين

في ميلاد سيد الأنبياء والمرسلين

تأليف العالم العلامة

الشيخ محمد المنير السمانودى

تغمده اللّه برحمته آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذى أنارَ جميعَ الموجوداتِ بمولدِ خيرِ الأنام، وأبرزَ شمسَ وجودِه فى ربيعِ الأولِ سعدِ السعودِ فنكست بذلك الأصنام، وخلقَ نورَ سيدِنا محمدٍ ﷺ قبلَ إيجادِ الخلقِ فكان ذلك النورُ يدورُ بالقدرةِ حيثُ شاءَ الملكُ العلام، ثم نقلهُ من أشرفِ الأصلابِ وأطهرِ الأرحام، إلى أن أظهرهُ فى أشرفِ الأيام، (أحمدهُ) على ما أولانا من الأنعام، وأشكرهُ شكرَ عبدٍ قامَ بواجبِ حقهِ على نعمهِ الجسام، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ شهادةً تنجى قائلها من الكروبِ العظام، وأشهدُ أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبدهُ ورسولهُ الممنوحُ بالشفاعةِ العظمى يومَ تزلُّ الأقدام، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ الذينَ سعدوا بهِ وطهروا منَ الرجسِ والآثام (وبعدُ) فيقولُ العبدُ الفقيرُ الحقيرُ المقصرُ محمد المنير السمانودى قد انشرحَ صدرى أن أوردَ قصةَ سيدِ المرسلينَ ورسولِ ربِّ العالمينَ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ عنِ الرواةِ الصادقينَ والعلماءِ المحققين فشرعتُ فى ذلكَ راجياً منَ اللهِ الإخلاص، والدخولَ فى شفاعتهِ يومَ القصاص، وسميتهُ بالدرِّ الثمين، فى مولدِ سيدِ

الأنبياءِ والمرسلينَ، فأقولُ مستمدًّا منَ اللهِ العونَ والقبولْ
(إعلمْ) أنَّهُ قدْ كانَ وُجودُ ظهورِهِ ﷺ في ربيعِ الأوَّلِ الشَّريفِ
لكنْ خلقهُ كانَ مقدماً على خلقِ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ عليهمْ ذوي
القدرِ المُنيفِ لما روى البخاريُّ في تاريخهِ الكبيرِ، قالَ قالَ رسولُ
اللهِ ﷺ كنتُ أوَّلَ الأنبياءِ في الخلقِ وآخرَهُمْ في البعثِ وقدْ
رُوِيَ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ إني عندَ اللهِ لخاتمُ النَّبيِّينَ وإنَّ
آدمَ لمُنجدِلٌ في طينتِهِ يعني طريحاً مُلقى على الأرضِ قبلَ نفخِ
الرُّوحِ فيهِ وفي روايةِ أحمدَ عنْ ميسرةَ قلتُ يا رسولَ اللهِ متى كنتَ
نبيًّا قالَ وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ، وفي روايةٍ متى كُتبتَ منَ
الكتابةِ ومعنى وُجوبِ النُّبُوَّةِ وكتابتِها في الرِّوايتينِ ثبوتُ
النبُوَّةِ وظهورُها للملائكةِ وروحُهُ في عالمِ الأرواحِ إعلاماً بعظمِ
شرفِهِ على بقيَّةِ الأنبياءِ وخُصَّ الاظهارُ بحالةِ كونِ آدمَ بينَ
الرُّوحِ والجسدِ لأنَّهُ أوَّلُ دخولِ الأرواحِ في عالمِ الأجسامِ
فانْ قيلَ أنَّ النُّبُوَّةَ وصفٌ لا بُدَّ أنْ يكونَ الموصوفُ بها
موجودًا فكيفَ يُوصفُ بذلكَ قبلَ وُجودِهِ وإرسالِهِ، قُلنا
أجابَ القرافيُّ بأنَّ المُرادَ بالخلقِ هُنا التَّقديريُّ لا الإيجاديُّ،
قالَ السُّبكي قدْ جاءَ أنَّ اللهَ خلقَ الارواحَ قبلَ الأجسامِ فقولُهُ
كنتُ نبيًّا إشارةٌ إلى روحهِ الشريفةِ، وروى عبدُ الرَّزَّاقِ

بسنده إلى جابر قال لما سألته عن أول شيء خلقه الله تعالى قال يا جابر إن الله تعالى خلق نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش وقسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث الملائكة ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة ثم قسم الرابعة أربعة أقسام فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم ومن الثالث نور أنسهم ومن الرابع نور التوحيد وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله لكن اختلف العلماء فى أى شيء خلق بعد النور المحمدى فقيل العرش كما علم من قوله ﷺ قدر الله مقادير العباد قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وصح فى حديث مرفوع أن الماء خلق قبل العرش فعلم بهذا أن أول الاشياء المخلوقة على الإطلاق النور المحمدى ثم الماء ثم العرش ثم القلم ثم اللوح ثم قال الله للقلم اجر على اللوح بما هو كائن إلى يوم القيامة ، قال ابن عباس طول القلم مسيرة

خمسمائةِ عامٍ لِلمُسافِرِ المجدّ وجميعُ أعمالِ الخلائقِ فى سطرٍ واحدٍ فى ذلكَ اللوحِ ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى قالَ لِلقلمِ اكتبْ قالَ يا ربِّ وما أكتبُ قالَ اكتبْ توحيدِى لا إلهَ إلاَّ اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ فكتبَ القلمُ ذلكَ ثمَّ قالَ القلمُ إلهِى وسيِّدِى قدْ علمتُ إسمكَ العظيمَ فمنْ يكونُ محمدًا الذِى قرنتَ اسمَهُ باسمِكَ قالَ اللهُ تعالى تأدَّبْ يا قلمُ وعِزّتِى وجلالى لوْلاَ محمدٌ ما خلقْتُ عرْشًا ولا كرْسيًّا ولا أرْضًا ولا جنَّةً ولا نارًا فلمَّا سمعَ القلمُ ذلكَ انشقَّ مِنْ هيبةِ اللهِ عز وجلَّ وقُطَّ بيدِ القدْرَةِ فصارَ سُنَّةً فى الاقلامِ إلى يومِ القيامةِ لا يكتُبُ الاَّ مشقوقًا مقطوطًا ثمَّ اكتُبْ أوْلادَ آدمَ لِصُلبهِ منْ أطاعَ اللهَ أدخلهُ الجنَّة ومَنْ عصاهُ أدخلهُ النَّارَ فكتبَ القلمُ ثمَّ قالَ أكتُبْ أمةَ نوحٍ كذلك أمّةَ ابراهيمَ كذلكَ أمّةَ موسى كذلك أمّةَ عِيسى كذلكَ ولمْ يزلْ القلمُ يكتُبُ أمّةً بعدَ أخرى حتى انتهى الى أمة محمدٍ ﷺ فأرادَ أنْ يكتبَ كذلكَ فاذا النِّداءُ مِن العلىِّ تأدّب يا قلمُ معَ محمدٍ وأمتهِ قالَ يا ربِّ وما أكتب قالَ أكتبْ أمّةٌ مُذْنِبةٌ وربٌّ غفورٌ ولقدْ قلتُ فى معنى ذلكَ شِعْراً .

يا أمّةَ المُصطفى حُزتى بهِ شرفاً   ولمْ يحُزْ ذاكَ لا إنسٌ ولا جانُ

أنتُموا خيرُ قومِ الأنبياءِ وجا   مُبشِّراً مِنْ كلامِ اللهِ قرْآنُ

وقد ورد أنّ الله تعالى لمّا خلق نور نبيّنا محمد ﷺ أسكنه في ساق العرش فبقى بالعرش ثلاثاً وسبعين ألف سنة ثمّ نقل ذلك النّور إلى سدرة المنتهى فبقى فيها خمسين الف سنة ثمّ نقل ذلك النّور إلى السّماء السّابعة فبقى فيها أربعين ألف سنة ثم نقل إلى السماء السادسة فبقى فيها ثلاثين ألف سنة ثمّ نقل إلى السّماء الخامسة فبقى فيها عشرين ألف سنة ثمّ نقل إلى السماء الرّابعة فبقى فيها خمسة عشر الف سنة ثم نقل إلى السماء الثالثة فبقى فيها عشرة آلاف سنة ثمّ نقل الى السماء الثّانية فبقى فيها خمسة آلاف سنة ثمّ نقل نوره إلى السماء الدّنيا فبقى فيها إلى أن أراد الله تعالى كلّ ذلك كان إجلالاً وتفخيما لنور نبيّنا محمد ﷺ ثم إنّ ذلك النور لم يزل كذلك إلى أن خلق الله آدم فجعل ذلك النّور في ظهره فكانت الملائكة تقف صفوفاً خلفه تسبّح الله وتقدّسه وتمجّده إجلالاً لله ربّ العالمين فقال يا ربّ ما بال الملائكة تقف خلفي فقال من أجل نور حبيبي محمد ﷺ ولولاه ما خلقتك يا آدم فقال آدم يا ربّ اجعله أمامي فنقله إلى وجهه فصارت الملائكة تقف قبالة وجهه وتصيح بالتسبيح والتقديس لله تعالى فقال يا ربّ اجعل نور ولدي محمد ﷺ في مكان أراه فجعله الله في سبّابته فكان آدم يسمع

لهُ تسبيحًا عظيمًا فقال يا ربّ هل بقيَ من هذا النور شيءٌ فقالَ نعم نورُ أصحابهِ الكرامِ فقالَ يا ربّ اجعلهُ في أصابعي فجعلهُ اللهُ نورَ أبي بكرٍ في إصبعِ آدمَ الوُسطى ونورَ عُمرَ في البنصرِ ونورَ عثمانَ في الخنصرِ ونورَ عليٍّ كرّمَ اللهُ وجههُ في الإبهامِ فصارتْ أصابعُ آدمَ كالمصابيحِ المضيئةِ فكانَ آدمُ إذا سبّحَ اللهَ تعالى يُسبّحُ معهُ ذلكَ النورُ وأنشدَ بعضُهُم شعرًا :

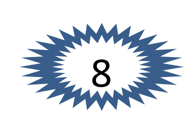
تنقلَ نورُ المصطفى سيّدُ البشرْ إلى ظهرِ آدمَ كانَ يضوي كالقمرْ
وكانَ يرى الأملاكُ تأتي منَ السما وتسجدُ اجلالاً إلى باريءِ الصورْ
وتُعلنُ بالتّسبيحِ شُكرًا لربّها وترفعُ للمحمودِ جلّ الذي قهرْ
لقدْ جاءَ في الانجيلِ نعتُ صفاتهِ كما جاءَ في التوراةِ أيضًا وفي السُّورْ
ولمّا رأى الأملاكَ تأتي لظهرهِ وتسجُدُ اجلالاً لها آدمُ انبهرْ
وقالَ الهي ذلكَ النورُ منْ يكنْ فاني أرى الأملاكَ تأتي لهُ زُمرْ
فقالَ لهُ الرّحمنُ نورُ محمدٍ
منِ اخترتهُ منْ سائرِ البدْوِ والحضرْ
فقالَ يا ربّ أني أريدُ أنْ يكونَ أمامي كيْ أمتّعَ بالنظرْ
فتجعلهُ في سبّابتي وأنيسهُ
أبو بكرٍ في الوُسطى وفي بنصرٍ عُمرْ
وفي خنصرٍ عُثمان ذُو النورِ والبَها
والإبهام فيهِ حيدرِ الظهرِ ذُو الفخرْ



فانْ سَبّحَ المولى فمعهُ مُسبِّحٌ   محمدُ والأمجادُ أصحابُهُ الغُرَرْ

وَلَمْ يزَلِ النورُ المحمّدِىُّ مَعَ آدَمُ حتى أرادَ اللهُ نقلهُ مِنهُ فأوحى اليهِ يَا آدَمُ أنِ اغتسِلْ بالماءِ الطهورِ وَوَاقع حَوّاءَ ففَعلَ وَكانَ يوْمَ الجمعَةِ ولِذلكَ صارَ سُنّةً فى أوْلادِهِ فلمّا وَاقعَها أصبحَ وقدِ انتقَلَ النورُ المحمّدِىُّ اليهَا وَكانَ آدَمُ يرَاهُ فى وَجهِهَا كالشّمسِ المُضيئةِ وَازْدَادَتْ بهِ حُسنًا وجَمالاً وَبَهَاءً وَكمالاً فتَعَجّبَ آدَمُ وَصارَتِ الملائكةُ تأتى اليهَا وتهَنِّيهَا وتُبشّرُهَا بنُورِ النبىِ الأمجَدِ وَالرّسولِ المؤيّدِ أبى القَاسِمِ محمدٍ ﷺ قالَ فلمّا وَضعَتْ أوّلَ الأنبياءِ والمرْسلينَ مِنْ بَنى آدَمَ فقِدَ ذلكَ النورُ مِنْ وَجهِهَا وَانتَقلَ إلى شِيثٍ عليهِ الصلاةُ والسّلام فأخذَ آدَمُ عليهِ العَهدَ وَالميثَاقَ أنْ لا يَضعَ هذَا النورَ المصونَ وَالسِّرّ المكنُونَ إلا فى المُطهّرَاتِ مِنَ النّساءِ الخيّرَاتِ فقَبلَ العَهدَ مِنْ أبيهِ وألزَمَهُ وَلدَهُ المنتَقلَ اليهِ إجلالاً واكراماً لنورِ محمدٍ ﷺ ثمّ لمْ يزلْ يَنتقلُ ذلكَ النورُ مِنْ كريمٍ إلى كريمٍ ومِنْ طَاهِرٍ الى طَاهِرَةٍ الى عدْنانَ جدّ النبى ﷺ ثمّ إلى هاشمٍ وَسمّىَ هاشماً لأنهُ أوّلُ مَنْ هشَمَ الثرِيدَ لِقَوْمِهِ وَكانَ اسمُهُ قبلَ ذَلكَ عَمرُو العَلاَ وللهِ دَرُّ القَائِلِ :

هُوَ سَيّدُ الكوْنينِ سيدُ هاشمٍ   مافى سِيَادَتِهِ عَلىّ خفَاءُ



مِنْ نورِ رَبِّ العرشِ كوّنَ نورُهُ والناسُ فى خَلقِ الترابِ سواءُ

وَبهِ توَسلَ آدَمُ مِنْ ذنبِـهِ وَتشفـّعَـت بجنَـابهِ حَوّاءُ

شرَفَ المقامُ بهِ وَزمزمُ والصّفا وَمِـنًى وَبيتُ اللهِ والبَـطحَاءُ

وبهِ دَعا ادْرِيسُ فارتفعتْ لهُ عِنْـدَ المُـهيمِـنِ رُتبةٌ عَلياءُ

وَبهِ توَسّـل نوحُ فى طُوفانهِ أنجاهُ حينَ طَغى عليـهِ الماءُ

وَبهِ الخليلُ نجَـا مِنَ النّـارِ التى قدْ أضرِمتْ مِنْ حرّها الاعداءُ

وبهِ الذّبيحُ فدَى بذبحٍ جاءَهُ لمَّـا أتاهُ مِنَ الإلهِ فِداءُ

انجِـيلُ عِيسَى وَالزّبورُ بفضْلهِ شَـهِـدَا فى هذا المقَـامُ عُـلاءُ

مَنْ أُنزِلَ القُـرآنُ فى أوْصافهِ مَاذا تقولُ بوَصفِـهِ الشُّعرَاءُ

اللهُ أكبرُ ما أجلّ فِخَـارَهُ فى فَـضْـلهِ تَـتـَحَـيرُ العُـلماءُ

صَلى عَليْـهِ اللهُ جَلّ جَلاَلُـهُ مَا لاَحتِ الأنوَارُ والظـّلماءُ

وَكَانَ هَاشِمُ جَدُّ النبيّ ﷺ لا يمرُّ بحَـجرٍ وَلا مَدَرٍ وَلا شجَـرٍ الاوَيُخَـاطبُـهُ وَيقولُ لهُ ابشرْ يَاهَاشِمُ فانهُ سَيَـظهرُ مِنْ ظَهرِكَ نبيٌّ يكـُونُ خاتمُ النّبيّـينَ وَالمُرْسلينَ قالَ فَـلمّا بَلغَ مَبْلغَ الرِجالِ أخَـذَ عَليْـهِ أبُوهُ عَبدُ مَنَـاف العَـهْـدَ والميثَـاقَ أنْ لايودِعَ هَذا النورَ إلاّ للأرْحَامِ الطاهِـرَاتِ مِنَ النساءِ الخيّـرات فَـقَـبلَ العهدَ مِنْ أبيهِ وألزَمَـهُ نفْـسهُ كلُّ ذَالكَ اجلاَلاً واكرَاما لنُـورِ محمدٍ ﷺ قالَ أبُو الحسنْ البَـكْـرى بَلـغَـنا أنهُ نزَلَ بمكةَ

قحطٌ وجدبٌ وضيقٌ شديدٌ حتى لا يكونَ عندَ النَّاسِ مَا يأكلونهُ فبعثَ هاشمٌ بتجرةٍ إلى غزَّةَ بالشَّامِ واشتروا لهُ زبيبًا وقوتا فجعلَ يقوِّتُ الناسَ فبينما النَّاسُ كذلكَ إذْ أقبلَ إعرابيٌّ وقدْ تحوّلَ رحلهُ وهوَ فى شدَّةٍ عظيمةٍ منَ الجوعِ والعطشِ فأشارَ اليهِ شاعرُ القومِ يقولُ شعراً :

يا أيُّها الرّجلُ المحوِّلُ رحلهُ   هلاَّ نزلتَ بآلِ عبدِ منافِ

ثكلتكَ أمُّكَ لوْ نزلتَ بحيِّهمْ   لحييتَ منْ كرمٍ ومنْ أضيافِ

عمرُو العلا هشمَ الثريدَ لقومهِ   والناسُ فى جوعٍ وفى إعجافِ

يسطُو اليهِ الرّحلتانِ كلاهما   عندَ الشِّتاءِ ورحلةُ الأصيافِ

أهلُ السيادةِ والرِّياسةِ والعُلا   الرّاحلونَ برحلة الإيلافِ

فلمْ يزلْ هاشمٌ كذلكَ حتى بلغ خبرُهُ النجاشىَّ ملكَ الحبشةِ وقيصرَ ملكَ الرُّوم وكسرى ملكَ الفُرسِ وكاتبتهُ الملوكُ وأهدُوا لهُ الهدايا رغبةً فى النورِ الذى بينَ عينيهِ فتزوّجَ منْ نساءِ قومِهِ وأتى بأولادٍ كثيرةٍ والنورُ لمْ يزلْ فى وجههِ لا ينتقلُ ولا يتغيّرُ فلمّا كانَ فى بعضِ الأيام طافَ بالبيتِ أسبوعًا وسألَ اللهُ أنْ يرزقهُ ولداً يكونُ فيهِ نورَ محمدٍ ﷺ فقالَ عندَ البيتِ فأخذتهُ سنةٌ منَ النومِ ثمّ رأى فى منامِهِ رُؤْيا ولسانُ الحالِ يُترجمُ عنها بالمقالِ (شعرا) :

عليكَ بسَلمى بنتِ عمْرٍ فأنهَا	مُطهّرةُ الأذيالِ فاعلقْ حِبالهَا
وابذُلْ لها المالَ الجزيلَ فلمْ يكنْ	لها مُشبِهٌ في الناس يأتي مِثالهَا
لهَا الفتَاتُ كالغزالِ إذا التوتْ	ولا لبوةٌ في الأُسدِ تحكي خيالهَا
سَخيّةُ قومٍ يا لها مِنْ مَليحةٍ	فانْ شِئتَ أعيانا لها ثمّ يالهَا
مُكحّلةُ العَينينِ مَعَ حُمرِ خدّها	وَوَجنتُهاقدْ رُشّقتْ بنبَالهَا
ألا فاستَمعْ قولي وكُن لنصيحتي	فطينًا لهَا لا تَهمِلنْ مَقَالهَا

قالَ فانتَبه هَاشِمٌ مِنْ مَنامِهِ فرِحًا مَسرُورًا فلمّا أصبحَ جمعَ أصحَابهُ وَبَني عمّهِ وَأخاهُ المطّلبَ وَقصّ مَا رآهُ في مَنامِهِ فقالَ المُطّلبُ يا ابنَ أمّي أرَى هَذهِ المرْأةَ عَزيزَةً في قومِها كبيرَةً في نِسائِها وَهيَ سَلمى بنتُ عمرٍو بنِ لَبيدِ بنِ عمرٍو بنِ يَزيدِ بنِ عدْنانَ مِنْ يَثرِبِ مِنْ بَني النَّجار وَإنْ شِئتَ كنَّا لكَ خُطّابًا وَاني جهزْتُ تجَارَةً أرُيدُ أنْ أخرُجَ بهَا إلى الشامِ إذا تمتْ هَذهِ المرْأةُ لكَ كملَ لنَا السُرُورُ فخرَجَ وَأمَرَ بني عمّهِ بالخرُوجِ مَعهُ فخرَجُوا مَسرُورينَ فرِحينَ وَسارَ هَاشِمُ وَأخوهُ المطّلبُ وَمعَهُمْ أحمَالُ الخزِّ وَالدّيبَاجِ حتى أشرَفوا على يَثربَ فبَادرَ أهلُها مُسرعين وقالوا لهُمْ مِنْ أينَ أقبَلتمْ أيها الوَافدُونَ الينَا فمَا مَرّ بنَا أحدٌ أضوَأُ وَجهًا مِنكمْ لا سِيّما صَاحِب هَذا النورِ الساطِعِ والضياءِ اللامِعِ قالَ المُطّلبُ نحنُ أهلُ بَيتِ اللهِ الحرَامِ وَزَمزَمَ والمقَام

جئنا لكم خاطبين وفى ابنتكم راغبين لصاحب هذا النور الساطع والضياء اللامع وهى سلمى بنت عمرو من بنى النجار وكان عمرو فيمن سمع الكلام فقالوا جميعا كلمة واحدة نحن نرضى صاحب هذا النور فقال عمرو يا قوم إن المرأة إبنتى غير أنها مالكة لنفسها حازمة لرأيها ومع ذلك فأنها خرجت إلى سوق قينقاع فانزلوا مرحبا وكرامة ثم نزل هاشم وقومه فبادرهم عمرو وقومه بالإكرام وما يليق بحالهم من الأنعام فأضاء المكان من نور غرة هاشم وما عليه من الوقار فلما حضرت سلمى وكانت من جملة من ينظر اليه وكانت معجبة من حسنها وجمالها فلما رأت هاشما ونور رسول الله ﷺ يلمع فى جبينه نسيت نفسها وجمالها فقال لها عند ذلك أبوها يا إبنتى أبشرى بالفرح والسرور فان الخاطب لك هو صاحب هذا النور فأطرقت سلمى رأسها حياء وتبسمت ورجعت الى منزلها فرحة مسرورة ونزل هاشم ونصب خيمة من الديباج الأحمر فعند ذلك اغتم إبليس اللعين وكان فى ذلك الزمان يظهر للناس ويتصور بما يشاء ويخاطبه فتهيأ فى هيئة رجل ودخل على سلمى فى منزلها وقال لها إن الرجل الذى خطبك مطلاق ولا يقيم مع من

يَتزَوَّجُها أكثرُ مِنْ شهرَينْ بَخيلٌ بانفاقِ المال جَبانٌ فى الحرُوبِ لا يَقِفُ فى وَجهِ العَدوِّ بَلْ يُوَلى الأدْبارَ ورَماهُ بجميعِ المكارِهِ ثمَّ انصَرفَ عَنها فاغتمَّت مِنْ كلامِ ابليسَ اللعَّينَ ثمَّ تهيَّأ فى هَيئَةٍ أخرى ودَخلَ ليها وقالَ مِثلَ ذلكَ فقَالتْ يا هذَا مَنْ أنتَ قالَ مِنْ أصحَابِ هَاشِمٍ جِئتُكِ بنصيحةٍ لكِ لعَلَّكِ تَقبليها فقَالتْ قلْ لِصاحبكَ لئِنْ أرسَلتَ اليهَا رَسولا لتضربِنَّ عُنُقَهُ ثمَّ انصَرفَ ابليسُ مَسرُورًا وزَعمَ أنَّ الأمرَ انفَسَخَ بَينَ سَلمى وهاشِمٍ فدَخلَ عليها أبُوها فرآها فى غمٍّ وفِكرَةٍ شديدةٍ فقَالتْ إنَّ الذِى خطَبَنى مِنكَ رَجلٌ مِطلاقٌ بخيلٌ بانفاقِ المال جَبانٌ فى الحرُوبِ وفى لِقاءِ الناسِ يُولى الأدْبارَ فقالَ لها يا ابنتى انهُ لشُجاعٌ ولمْ يُطلِّق امرَأةً قَطُّ وإنَّهُ فى كرَمِهِ وشَجاعتهِ لا نهاية لهُ كلُّ هذا وسلمَى لا تصدِّقُ أباهَا الى أنْ دَخلَ بهَا الليلُ فحَلَّ بهَا الفِكرُ والقَلقُ فرَكبتْ جوَادَ أبيهَا ومَضَتْ الى نحْوِ هَاشمٍ فوَجدَتهُ قابضًا على سَيفِهِ سَاهِرًا على قوْمِهِ فلمَّا رَآهَا انتَصبَ كأنَّهُ أسَدٌ ضَارٍ ورَكبَ جوَادَهُ وهجَمَ عليهَا وتأمَّلهَا فاذا هِيَ شَخصُ امرَأةٍ فتحَرَّكَ وأنشَدَ يَقولُ شِعرًا

أظنُّكِ سَلمَى بنتُ عمْرٍو فانني خرَجتُ بنفسى رَاغبًا فى وِصالها
ولا حَاجةَ لى غيرَ ماقدْ طَلبتُهُ لعَلِّى بتنجيزِ الأمُورِ أنالهَا

أجابته سلمى حركت فتحركت

عساك تكون اليوم خير رجالها

وتبلغ منها ماله جئت قاصداً ويجمعنا ريح اليمين فيالها

ثمّ إنها رجعت الى منزلها فرحة مسرورة فدخل عليها أبوها فقال لها لعلك قد زال عنك ما تجدينه فقالت يا أبت إنما كان هذا أمر من الشيطان فمضى عمرو إلى خيمة هاشم والمطلب ثم قال هاشم قل لنا يا عمرو ماتريد منّا من الصداق وتكلموا فيما بينهم على الصداق وكان ابليس جالساً معهم فوثب لعنه الله قائماً وأشار الى عمرو وامسك عنى فقد فضحتني مع قومى ثكلتك أمك قال فتحرك هاشم على إبليس لعنه الله فلما رأى ابليس أنوار رسول الله ﷺ تلمع من جبهة هاشم هرب وعاد ريحاً لايُرى له أثر ثم تراجع القوم الى جهة هاشم وأجلسوه وتصافح مع عمرو وتعاقدوا على سلمى ثم قال عمرو وسلمى يا هاشم نشترط عليك ان جاءت منك بولد فهو عندها ولم تنقله الى مكة فقال حباً وكرامة وتعاهدوا وتعاقدوا على ذلك ثم أن السيد هاشماً هيأ وليمة عظيمة للقوم فأكل منها الغادى والبادى وسائر العربان وجميع أهل المدينة وما فضل جمعوه للطيور والوحوش ثم ان هاشم بن عبد مناف جد النبى ﷺ

دَخلَ على سَلمى وَوَاقعهَا فحملت منهُ فأصبَحَ وَقدِ انتَقلَ النورُ المحَمَّدِيُّ اليهَا فازدَادَتْ بهِ حُسناً وَجمَالاً وكانتْ سَلمى لا تمُرُّ بشجَرٍ وَلا مَدَرٍ إلاَّ وَيُنادِيها بالتَّحيَّة والاكرَامِ قائِلا السَّلاَمُ عَليكَ يا خيرَ البشرِ وأقامَ هَاشمٌ عِندَها أياماً ثمَّ أنَّهُ مَضى بتجَارَةٍ الى الشامِ وأمَرَ أصحَابهُ وَبنى عمِّهِ وَأخاهُ المُطَّلبَ بالرُّجوع الى مَكَّةَ شرَّفهَا اللهُ تعَالى وَسارَ هوَ وَعبِيدُهُ وَخَدَمُه وَرفقتُهُ مِنَ التجَّارِ إلى الشّامِ فبَاعوا مَا مَعهُمْ مِنَ التِّجارَةِ واشترُوا مَا يَليقُ بأهلِ مكَّةَ فلمَّا أرَادُوا الرَّحيلَ طَرَقَ هَاشماً هاذِمُ اللذّات ومُفَرِّقُ الجماعاتِ فقالَ هَاشمُ يا قوْمِ قدْ حَضَرَ الحِمام وقالَ إنى هالِكٌ لا مَحالةَ ثمَّ تزَايدَ فى وَجعهِ وَكلامِهِ فقالَ ياقوْمِ ائتُونى بدَواة وَقرْطاسٍ فأتوهُ بذلِكَ فكتبَ وأصابعُهُ لا تُطيقُ الكتابةَ وهو مُستنِدٌ مِنْ تزايُدِ الأوْجاعِ (أما بعدُ) يا بَنى عَبْدِ مَناف أوْصِيكم بوَصيةٍ لا تتفرَّقوا يهُونُ مِقدارُكمْ عِنْدَ الملوكِ ويَطمَعُ فيكم الحقِيرُ والصَّعلوكُ وَلكِنَّ الخليفةَ عليكم بَعدِى أخى المطَّلبُ سَلمُوهُ مَفاتِيح الكعبةِ وَسِقايةَ الحاجِّ وَقوْسَ اسماعِيلَ وقميصَ ابرَاهيمَ وَلوَاءَ نِزَارٍ وَنعْلَ شِيث والرِّفادَةَ والرِّعايةَ وما كانَ عليهِ عبدُ مَناف وَالوصِيَّةُ ببنَاتى هُنَّ خاطِرَةُ وَصفيَّةُ وَرقيَّةُ ولا تنسُوا القرِيبَةَ منكمْ والبعِيدَةَ عنكمْ سَلمى بنتَ عمْرٍو التى أخذَتْ

نورَكمْ وإذا وَلدَتْ صَاحبُ هذا النورِ الباهِر فسلموا لهُ ذلكَ إنْ سَعِدَ رأيُكم بذَلك فاحفظُوا وصيَّتى ثم رَفع رأسهُ الى السَّماءَ وأنشدَ وَجعلَ يَقولُ شعرًا :

لقَدْ ضرَّنى مِنْ بعدِكمْ طولَ بُعدِكم
كأنَّ حياتى بَعدَكمْ قدْ توَلَّتى

فيَاحبَّذا أنْ قدْ رَعيتُمْ عهودَنا ... فصبرًا على خُلوِّ الديارِ ووحدَتى

فياليتَ شعرِى هل سُليمى مقيمةٌ ... تعالجُ أشوَاقى وتشكو لِغربَتى

فوَاللهِ ماقد رُمتُ فى الحبِّ غيركمْ ... وَلا صنَعَ العذَّالُ فيكِ بسلوَتى

وَاستنشِقُ الارْياحَ مِنْ نحوِ أرْضِكمْ
لانى غريبٌ فى الدِّيارِ بوَحدَتى

عسَاها تُبلِّغُ منى السلامُ اليكمُ ... وتُوصلُ أخبارِى لكم وتحيَّتى

لِانى غريبٌ فى الدِّيارِ مُوجَّعٌ ... وَحيدٌ أقاسِى الوَجدَ فى كلَّ بلدةٍ

فانْ كانَ هذا آخِرُ العَهدَ بيننا ... هُناكَ بدارِ الخلدِ جمعُ الاحبَّةِ

قالَ ثم ان هاشِما هَاجَ وَمَاجَ الى أنْ قُبضَتْ رُوحهُ الكريمة فماتَ بغزَّةَ وَقبرُهُ بها معرُوفٌ الى الآنَ فأجرَتْ جلسَاؤه الدُّموعَ هُمُولاً وَصارَ شاعِرُهمْ يَقولُ :

الا أنَّ هاشِما قدْ مَضى لسَبيلهِ ... فيَاعينى جُودِى واسكبى العبرَاتِ

وَابكى على البدرِ المُنيرِ بعَبرَة ... وَلا تسأمى مِنْ كثرَةِ الحسرَاتِ

لقـدْ كانَ مِصباحاً بمكـَّة مُشرِقاً فعـادَ ظلاماً ساكِن الحفـراتِ
عَليهِ سَلامُ اللهِ ما هبَّـتِ الصَّـبا سَلاماً كثيراً دائِمـًا وَصلاتي

قالَ ثمَّ أنَّ القـومَ بعدَ تجهيزِهِ وَمُوارَاته التراب سارُوا رَاجعينَ حَتى أشرَفوا على يَثرِبَ فرفعـُوا أصوَاتهمْ بالبُـكاءِ وَالعـويل على الخلّ الخليل فلمَّـا أشرَقتْ سَلمَى وَرَأتْ الخيلَ مَقـطوعة الأذيالِ والنَّـوَاصِي وَكلّ جنـيبٍ عَليهِ أثرٌ مِنْ هاشِمٍ جعلتْ تُنـادِي وَا هاشِماهُ آهُ عليهِ ثمّ أوّاهُ مَنْ للاضيافِ بعدكَ يا هاشِمُ ثم إنها حَنتْ واشتـكتْ وَجعلتْ تقولُ شِعرًا :

يا دَارُ هلْ شَملُ الأحِبةِ رَاجِعُ سُرُورِي تولّى وَالديارُ بلاقِعُ
رَعَى اللهُ أياماً تقضَّـتْ بقرْبكمْ بلذَّةِ عَيشٍ والزَّمانُ مُطاوِعُ
وَمُذْ فارَقوني فارَقَ الجفـنُ لِلـكرَى
وَإيصَـالُ حُزنى لِلتـوَاصُلِ قاطِعُ
لقد كنتُ في عيشٍ رَغيدٍ وَنعمةٍ على مَرتعٍ فيهِ البُـدورُ طوَالعُ
إلى أنْ أتانا الموتُ فرّقَ جَمعَـنا فمَـا حِيلتي فِيـهِ وَما أنا صانِع
فيَـاليتَ شِعرِي يجْـمَـعُ الدَّهرُ بيْـننا
وَيلتم شَـملي بعدَ ما كانَ ضائِعُ

ثمَّ إنَّ سَلمَـى قالتْ يا قوْمِ بلـغُوا المطّـلبَ عَني السلامَ وَقولوا لهُ سَلمَـى زَوجَـةُ أخيكَ هاشمٌ مُقيمةٌ على عَهدِهِ حافِظةٌ لوُدِّهِ

والرِّجالُ بعدَ هاشِم حرَامٌ عليها وَإنها حَامِلةٌ نورُهُ يُجلى الظلام ثمَّ سَافرَ القومُ حتى اشرفوا على مكةَ فرَفعوا أصوَاتهُمْ بالبُكاءِ والعويلِ فأوَّلُ مَنْ تلقَّى القومُ المطَّلبُ وأخوهُ عَبد شمسٍ فلمَّا تحقَّق المطلبُ مَوتَ أخيهِ هاشِم بَكى وشَكى وَأنشدَ يَقولُ شِعراً :

كيفَ الحياةُ وقد غُيِّبتَ عنْ نَظرِى
يَا طَلعَةَ البَدْرِ بَلْ يَا طلعَةَ القمَرِ

يارَاحةَ القلبِ يارُوحَ الحياةِ ويا
شقيقَ بدْرٍ ويَا رَيحانة العُمُرِ

أخفوكَ فى التُّربِ عَن عَينى ولو عَلموا
تلهُّفى كُنتَ فى سَمعِى وَفى بَصرِى

فأىُّ عينٍ منَ الأحزانِ ما دَمعت
وأىُّ قلبٍ مِنَ الأشجانِ لم يَطرِ

يَا لهفَ قلبى على ذَاكَ القوَام وَيا
دَوامَ حُزنى لغصن البانةِ العَطرى

يارَوضةَ أثمرت بالُحسن فانقطفتْ
مِنها الثمارُ وَوَلَّى يانعُ الزهرَ

كنَّا مُقيمينَ فى عَيش وفى رَغدٍ
حَتى أتى صاحِبُ التفريق والعُصر

وكمْ حرصتُ على شملى لأجمعَهُ
عليهِ والِحرصُ لاينجى من القدَرِ

ثمَّ جَاءَ أخوهُ عبدُ شمسٍ وَقالَ وَاهاشِماهُ مَنْ للاضيافِ بعدكَ يَا هاشِمُ وَأنَّ وَحنَّ وَبكى وَجعلَ يَقولُ شِعراً :

مالدَّارُ مِن بعدِكمْ يا سيدِى دارُ
كلاَّ وَلا الجارُ من بعدِ الفنا جارُ

وَلا الأنيسُ الذى كنتُ أعهدُهُ
بدَا أنيساً ولا الأنوارُ أنوارُ

غبتم فأوحشتم الدنيا لغيبتكم ... وأظلمت بعدكم رحب وأقطار
والقلب حيران والأجفان ساهرة ... والحلو مر وصفو العيش أكدار
ليت الغراب الذى ينعى لفرقتكم ... عار من الريش لا تحويه أوكار

ثم أنهم فتحوا الكتاب فلما رأوا وصية أخيهم هاشم امتثلوا لما أشار اليه وعول فى الكتاب عليه وولوا أخاه المطلب الخلافة من بعده وسلموا له مفاتيح الكعبة وسقاية الحاج وقميص إبراهيم وقوس إسماعيل وما كان عليه عبد مناف، قال أبو الحسن البكرى فلما مضت مدة من الأيام وتم حمل سلمى وضعت من أضاء من نوره المكان فتعجب من كان حاضراً من نوره لوضاح وجماله الفضاح فسمته شيبة الحمد فصار كل يوم يزداد حسناً وجمالا وقداً واعتدالا ينمو نمواً زائداً فلما بلغ من العمر سبع سنين ظهر فى المدينة فضله وآدابه وكان الناس يعرفونه كثيراً وكان إذا لعب مع الصبيان يقول أنا ابن المروة والصفا أنا ابن هاشم وكفى فلما كان فى بعض الأيام وهو يلعب مع الصبيان إذ أقبل على شيبة الحمد رجل من مكة يقال له الحارث ووقف بين يديه ورمق بعينيه اليه فتعجب من نوره وحسن لفظه وآدابه وقال له من أنت يا ولدى هنيئاً لدار أنت فيها ولقبيلة أنت منها فقال له شيبة الحمد أنا الذى نسونى أعمامى فمن أين تكون

أ / شعبان صبره

ياعمّي وما اسمُكَ فقالَ أنا مِنْ مكةَ المشرَّفة وأنا اسمى الحارِثُ فقالَ لهُ شيبةُ الحمدِ إنى محمِّلُكَ سلاماً لأعمامى وقلْ لهُمْ يا بنى عبدِ مَناف مَا أسرعَ مَا نسيتُمْ عهدَ أخيكُمْ هاشِم ووَصيَّتهُ فانى كلما هبَّتِ الصَّبا تحملُ رائحتَكُمْ إلىّ فبكى عِندَ ذلِكَ الحارِثُ شفقةً لهُ فلمَّا رجعَ الحارِثُ القرشىُّ إلى مكة لم يكُنْ إلا ساعةٌ حتى دخلَ على بنى عبدِ مَناف فوجدَهمْ مجتمعِينَ فى نادِيهمْ وأخبرهمْ بماقالهُ الغلامُ فقالوا هُوَ وَصلَ إلى هذِه المرقة فقالَ الحارِثُ واللهِ أنهُ ليَعْجزُ عَن كلامِهِ اللبيبُ وعَنْ جوابِهِ الأديبُ ومعَ هذهِ الكرامَات التى أنتمْ فيها أراكمْ قدْ غفلتُمْ عَن عِزِّكمْ وشرفِكم وسيِّد فخرِكمْ ومجْدِكمْ تقرِّبونَ البعِيدَ وتنسونَ القريبَ وتتركونَ مِصباحَ نورِكمْ مُنوَّراً ومُستضيئاً بهِ سِواكمْ ولقدْ كانَ أبوهُ يكلؤُكمْ ويرعاكمْ فقالوا لهُ وقدْ علِموا أنهُ يعنى ابنَ أخِيهِمْ هاشماً أو نشأ منْ أنتَ مُشيرٌ اليهِ وترعرعَ مَن أنتَ تحنى عليهِ فقالَ واللهِ كبُرَ مَنْ أنا مُشيرٌ اليهِ واللهِ إنَّ الفصحَاءَ ليَعجزُونَ عَنِ النُّطق بينَ يديهِ ويتحيَّرُ اللبيبُ فى خِطابهِ لديهِ وإنهُ لفصيحُ اللِّسانِ ثابتُ الجنانُ صافى القلب فائِقُ الغِلمان بلغَ فى حُسنهِ النِّهايةَ وفى آدابهِ الغايةَ كالبدرِ إذا تجلى وظهرَ مِنْ تحتِ غمامةِ مَا رأيتُ مِثلهُ فى أرضِ تِهامَةَ ولا فى الحجازِ واليمامةِ

وَلا وَلدَتْ مِثلهُ النِّساءُ وَلا عَاينتُ أحسنُ منهُ وَجهاً وَلا بَهاءً وَلقدْ رَأيتُهُ يضيءُ لوَجهِهِ المنيرِ فى الظُّلمِ وَيزهُو بحُسنهِ على سَائرِ الأممَ منْ عَربٍ وَمنْ عجمٍ فشكرُوهُ وَأثنوا عَليهِ وَقالوا وَاللهِ ما فرَّطنَا فى حقّ ابنَ أخينَا هاشِم ذِى الجودِ وَالمكارِمِ وَقصَّرنا فى تربيَّتهِ والقِيامَ بحقِّهِ وَخدمتَهُ وَنظرِهِ الينَا وَنظرِنا اليهِ ثمَّ التفتَ بعضُهمْ إلى بَعضٍ وقالوا انظرُوا مَنْ يمضيَ مِنكم إلى مَدينةَ يَثربَ وَيأتى بهِ منَازِلَ آبائهِ وأجدَادِه وَيكونُ بَينَ أعمَامِهِ وَعمَّاتِهِ دُونَ أخوَالهِ وَخالاتِهِ وَلقدْ كنَّا أولى بحضانتهِ وَالقِيامُ بتربيتِهِ فقَالَ المطَّلبُ أخو هَاشمٍ وهوَ إذاً سَيِّدُ البُطحاءُ أقسِمُ بهذَا البَيتِ الحرَامِ وَزمزَمَ وَالمقَامَ وَبعِظَامِ هَاشم وَتربيتهِ لا يَسيرُ فى طلبِ ابنَ أخى غيرِى وَلا يحملهُ مِنْ يثربَ سِوَايَ فقَالوا لهُ يا سيِّدَ الحرَم وَالبيتِ المعَظمِ أما وَاللهِ إنْ عَلمتْ أمُّهُ بقُدُومِكَ لم تمكِّنكَ مِنهُ وَلترْجعُ مِنْ طريقكَ خائباً لأنَّ أمُّهُ شرطتْ على أبيهِ هاشم إنْ رُزقتْ مِنهُ وَلداً يكونُ عِندها وأنتَ أكبرُ شاهدٍ لها وَنخشى يذهبُ عنَاكَ باطِلا لأنَّ أمُّهُ كثيرَةُ الحزنِ عليهِ وَهى عزيزةٌ فى قومِها كثيرَةُ النصيب فى أهلهَا مُهابةٌ فى عَشيرتها فلا تأمنُ أنْ تمنعَكَ مِنهُ وَتصُدَّكَ عَنهُ قالَ المطَّلب لابُدَّ أن أنظرَ فى هذا الأمرِ ثمَّ إنَّهُ أقبلَ إلى مَنزلهِ

وَأرْحلَ مطيَّتَهُ بنفسهِ وَوَدَّعَ إخوتهُ وَأهلهُ وَلم يأخذَ معهُ عبداً وَلا مولى بل اعتدَّ بعدَّتهِ وَخرجَ مِنْ مكةَ بنفسهِ وَجدَّ فى مسيرهِ مختفياً حذراً أنْ تخبرَ بأمرهِ وَتنذرْ أمهُ بشأنهِ فمَا زَالَ سائراً إلى أنْ أشرفَ على مدينةَ يثربَ فضيَّقَ لثامهُ وَاستندَ إلى بعضِ حوائطِ النَّخلِ وَبقيَ يترصَّدُ الخلوةَ إلى نصفَ اللَّيلِ وَإذاً بغلمانٍ مِنْ صبيانِ المدينةِ خرجوا مِنْ بابها وَهمْ يلعبُونَ وَينقلونَ أحجاراً وَينظرُونَ أيُّهمْ أقوى قالَ فحقَّقَ المطَّلبَ النَّظرَ إلى الأولادِ وَإذاً فيهِمْ غلامٌ زائدُ الأنوار عظيمُ المقدارِ عليهِ الهيبةَ وَالوقار يُذهلُ النُّظَّارَ وَقدْ تقدَّمَ إلى صخرةٍ عظيمةَ فاحتملها وَأتى بها مِثلَ الأكرةِ وَهوَ يقُولُ أنا ابنُ الكريم هاشم سيِّدِ الأبطال مِنَ العَربِ وَالأعاجم المُقَوَّمينَ الشَّفائم قالَ فزادَ عجباً بالطَّرب أدْركهُ مِنْ فصاحتهِ العجبَ وقالَ ابنى وَرَبُّ الكعبةِ ثم أناخَ مَطيَّتهُ وصرخَ بهِ وَقالَ إلىَّ يا ابنَ هاشم رَحِمَ اللهُ أباكَ وَلا فضَّ فاكَ وَفرَّحَ بكَ أقاربكَ إلىَّ يا ابنَ السيِّدِ الجليل وَالرئيس النَّبيل قالَ فأسرعَ اليهِ شيبةُ الحمدِ حتى صارَ بينَ يديهِ وَقدْ حنَّتْ أعضاؤهُ اليهِ فقالَ لهُ المطَّلب أظنُّكَ مِنَ الأعمامِ الكرام وَقدْ قدمتَ مِنَ البيتِ الحرام فقالَ المطَّلب وَمَن أعلمكَ بذلكَ يا غلام فقالَ لأنهُ قد



أزعجَ لكلامكَ قلبي وأضاءَ إليهِ لُبي فمَنْ تكونُ منَ الأعمامِ ومنْ أرجوهُ لردِّ غربتي قالَ أنا المطلب بنُ عبدِ مناف صاحبَ رحلةِ الإيلاف وإليكَ شددتُ مطيتي لأنكَ أحبُّ الخلقَ إليَّ وقد أملتُ يا ابنَ أخي أنْ تكونَ في دارِ عزِّكَ ومحلِّ فخركَ لأنكَ هُنا في مكانٍ لا تعرفُ وإذا ذُكرتَ بينَ أهلِ يثربَ لا توصفْ ومعَ ذلكَ أنتَ المؤملُ لدفع الأذى عنْ حرمِ اللهِ ومنكَ يظهرُ سيدُ عبادِ الله محمدُ بنُ عبدِ اللهِ فما رأيكَ يا ابنَ أخي في إجابتكَ عمكَ إلى مقصدِهِ وأنْ تسيرَ معهُ إلى سعدِهِ فيؤوبَ سعدُهُ فانَّ أعيانَ قومِكَ متطلعةٌ اليكَ ومرادُهمْ منَ اللهِ النظرَ اليكَ فهلْ تؤثرُ اليومَ أهلكَ ونعجلُ بالمسيرِ إلى عشيرتكَ ، قالَ فلما خاطبهُ المطلبُ بهذا الخطاب وثبَ شيبةُ الحمدِ منَ الأرضِ وثبةَ الأسدِ فاذا هُوَ على مطيةِ عمِّهِ ثمَّ قالَ يا عمِّ اركبْ مطيتكَ وارخِ الزِّمامَ وسيبْ لها الخطامَ واعنقْ في سيركَ إلى البلدِ الحرام واطوِ الفيافي والقفارَ ، والأوديةَ والأوعارَ ، واقطعْ في الدُّجى مسافةَ الاقطارِ ، ولا تأمنْ أن يلحقوكَ وعني يمنعوكَ ، فانْ لحقوا بكَ كفيتكَ مؤنتهمْ وأتولى عنكَ مدافعتهمْ فقالَ المطلب ومنْ يلحقُ بنا يا ابنَ أخي قالَ أمِّي سلمى وأقاربُها وعشيرتُها وذووها أما تعلمُ أنهُ يركبُ

لِرُكوبها أهلُ يَثرِبَ فقالَ المطَّلب فى اللهِ كِفايةٌ يا ابنَ أخى ثمَّ هَيِّموا المطيَّةَ وَسيِّبوا لها خِطامَها وأطلقوا زِمامها فخرَجتْ بهمْ مِنْ بَينَ نخلِ المدِينةِ أسرَعَ ما يكون فأدرَكهُم المساءُ عندَ ذِى الُحليفةِ فتقدَّمَ المطَّلب فسقى مطيتهُ ونضَحَ الماءَ على وَجهها ورشَّ تحت أباطِها وَسقى شيبةَ الحمدِ وَأطعمَهُ ورَكِبَ وركَّبَهُ وَطلبَ الطَّريقَ وَهوَ فرِحٌ مسرورٌ وَلا يُصدِّقُ بالنَّجاةِ وَالظَّفرِ بابنِ أخيهِ فلمَّا بعُدا عنْ ذِى الُحليفةِ إذْ سمِعَا مِنْ خلفهِما صَهيلَ الخيلِ وَقعْقعةَ اللُّجُمِ وَتصافقَ الرِّماح وَجلجلةَ الرِّجالِ والصياح وَالتفَتَ المطَّلب إلى شيبَةِ الحمدِ وَقالَ لهُ كيف العملُ يا ابنَ أخى فقالَ شيبةُ الحمدِ عرِّجْ بنا عن الطريقِ إلى السَّاحلِ فقالَ المطلب يا ابن أخى كيفَ يخفى أثرُنا وَقد وَقعتِ العينُ على العينِ بأنوَارِكَ التى لاحتْ لُطلاَّبنا فى الظلامِ وَهذا نورُكَ الساطِعُ لايخفى على أحدٍ فقالَ شيبَةُ الحمدِ يا عمِّى إن كانَ الامرُ كما ذَكرْتَ نخمِّر وَجهى برِدائكَ وَلفَّنى بفاضِلهِ لعلِّى أخفىَ عنِ القوْمِ قالَ فأخذَ المطَّلب الرِّداءَ وَلفَّهُ على وَجههِ طبقاتٍ فشقَّ النُّورُ منهُ وَظهَرَ وَلم يحجُبهُ حِجابٌ وَلا يستُرهُ نِقابٌ فقالَ المطَّلبُ إنكَ يا ابنَ هاشمٍ لذُو شأنٍ عظيمٍ وَإنكَ منَ اللهِ بمكانٍ كريمٍ وَأنَّ الذى خصَّكَ بهذا النُّورِ قادِرٌ على أنْ يَدفعَ عَنكَ كلَّ محذُور لانَّ لكَ بذلك سابقةٌ لاجلِ هذهِ الانوَارِ البارِقةِ وَقدْ أسلمتُكَ اليهِ فهوَ أوْلى بكَ منى وَإذا عصمكَ

أ / شعبان صبره

أنتَ فانه بكـرَمِهِ لم يَبخلْ عَنى قالَ فبينما المطّـلب مَعَ ابنِ أخيهِ فى الـكلامِ إذْ أدركـتهُـمُ الخيلُ وَنورُ رَسولِ اللهِ ﷺ يَشرِقُ فى الظـّلامِ منْ غُـرَّةِ شيبـةَ الحمدِ ولم يحجبهُ اللـّثام فأتوا اليهِ وقصدوهُ لانهمْ بذلكَ منْ قديمٍ قدَّفوهُ وَكانَ هؤلاءِ جماعةً مِنَ اليهودِ وَذلكَ أنهُـم لما حقـّقوا مَا أخبرتهُـمْ بهِ الاحبارُ والـكهّـانُ وَعلموا أنّ النّـورَ الذى فى وَجههِ هُوَ نورُ سيّـدِنا محمدٍ ﷺ سيّـدِ وَلدِ عدنانَ أيقـنوا أن هَلاكهُـمْ على يَديهِ وَأنهُ يُخرِبُ حُصونهُـمْ وَيملكُ دِيارَهُم وَيستعبِـدُ أولادَهُمْ وَكانوا بالمدِينةَ ينظرُونَ لهُ سراً فلم يجِـدُونَ لهُ سبيلاً لمنْـعةِ أمّـهِ وَسطـْوةِ أهلـها وكانوا كلما رَأوهُ يمقتُـونهُ وَيُريدنَ عندَ ذلكَ يقتـلونهُ فلم يجـدوا لذلكَ سَبيلاً حفظاً منَ اللهِ تعـالى لنبيّـهِ محمدٍ ﷺ فلمّـا كانت اللّـيلةُ التى خرَجَ فيهـا شيبـةُ الحمدِ مَعَ المطّـلبِ وَرأوهُ قد رَكبَ المطيّـةَ وسارَ بهِ لوقتهِ صَوبَ مكةَ طَمـعوا فيهما وَحرّضهُـمْ على ذلكَ شيـطانٌ مِنْ شياطِينهِـمْ يُقالُ لهُ لاطِيـةُ وَكانَ لهُ فيهِـمْ مكانةٌ وَمنزِلةٌ وَذلك لانهُ كانَ لهُ وَلدٌ يُقالُ لهُ عَزْرَةَ فتـعرَّضَ يوماً لِشيبـةِ الحمدِ وَأخذَ حجراً وَضرَبَ بهِ عَزْرَةَ فشجَّـهُ شجّـةً مُؤلمةً وقالَ لهُ يا ابنَ اليهُـودِيةِ تتحرَّشُ بالاشرافِ وابنِ السادةِ مِنْ عَبدِ مَناف أمّا وَاللهِ إنَّ بوارَكمْ قدْ دنا وَسيُـخرِجُ اللهَ مِنْ ظهرِى مَن يكونُ سبباً

لخراب دياركم وقلع آثاركم وسبي حريمكم فبلغ ذلك أباه لاطية فملا قلبه غيظاً وحمقاً وعمل له كل مكيدة فلم يقدر أن يصل اليه فصبر حتى رآه خرج مع عمه المسمى المطلب ففرح اليهودي لاطية وجمع اليهود وقال لهم إن أردتم عزكم يدوم فتداركوا هذا الغلام واقتلوه قبل أن يعلو شأنه ويظهر سلطانه فتبادروا سراعاً وكسوا خيولهم وساروا مسرعين فى طلبه ولم يعلموا أن الله ناصره ومؤيده قال وكان ذلك اليهودي سائراً بسبعين فارساً ولاطية فى أوائلهم وهو يود أن يطير من حرصه على هلاك شيبة الحمد ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا عليهما والمطلب وشيبة الحمد يظنان أنهم رهط سلمى أم شيبة الحمد فلما تقاربوا وتحقق المطلب أنهم اليهود زادت حرقته وآيس من سلامة ابن أخيه إلا أنه أناخ ناقته وأوثق عقالها وضم شيبة الحمد وقبل ما بين عينيه وهو يبكي ويقول يا ابن أخى لو علمت أن هذا الجمع الكثير ليتبعك ما خرجت بك من مدينتك ومحل تربتك ولا كنت طلبتك وأنا وحيد فريد ولكن وعزة الرب القديم وحرمة زمزم والحطيم ونبيه الخليل إبراهيم لا أسلم فيك دون أن أقتل أمامك وتشهد مصرعى ولا أشهد مصرعك مع أنه إن صدقت فيك الاخبار

وكانَ لربِّكَ أمرٌ سابقٌ والخبرُ فيكَ حقٌّ صادقٌ فانَّهُ يمنعُ عنكَ كلَّ فاسقٍ فقالَ شيبةَ الحمدِ ياعمِّي وحقَّ البيتِ الحرامِ وزمزمَ والمقامَ والمشاعرِ العظام لارينَّكَ عجباً تتحدَّثُ بهِ عنِ ابنِ أخيكَ وأدفعْ عنى وعنكَ مَنْ قصدنى وقصدكَ بسُوءٍ وستنظرُ ما يكونُ منى ومنْ هؤلاءِ وسأريكَ ما يسرُّكَ ثمَّ طلبَ القومَ وهوَ غيرُ هلعٍ بهمْ بلْ متوكلٌ على اللهِ الذى خصَّهُ بنورِ محمدٍ ﷺ وقدْ رفعَ رأسهُ إلى السماءِ ونادى برفيعِ صوتهِ اللهُمَّ أنتَ ربُّ السمواتِ والارضِ لا إلهَ إلاّ أنتَ القادرُ وأنتَ ربُّ الظلامِ الغابرِ والفلكِ الدائرِ والنَّجمِ الزَّاهرِ مسمعُ السَّمعُ ومُدرُّ الضَّرعَ ومُبرمُ الامرَ يا منْ هوَ العالِمُ بالأمورِ أسألكَ وأتوسَّلُ اليكَ بحُرمةِ صاحبِ هذا النُّورَ الذى نقلتَهُ منْ كريمٍ إلى كريمةٍ ومنْ طاهرٍ إلى طاهرةٍ حتى وصلَ إلى أنْ ترزُقنا النَّصرَ يا أكرمَ الاكرمينَ قالَ المطّلبُ فوحقِّ البيتِ الحرامَ وزمزمَ والمقامَ فما تمّ دُعاءَ شيبةَ الحمدِ حتى تقهقرتَ الخيلُ على أعقابها وصارتْ كلما هزُّوها تأخرتْ وكلما قدّموها تقهقرتْ فلمّا نظرُوا اليهودَ إلى ذلكَ حارُوا وقالوا الرّجعةُ لنا أولى منَ التّعرُّضِ إلى شيبةِ الحمدِ وعمّهِ فقالَ لهمْ لاطيةَ لا أمّ لكمْ ترجّلوا عنِ الخيلِ واعتمدوا على القواضبِ ودُورُوا بهِ منْ

كلّ مكان قالَ فترجّلوا عَنِ الخيلِ وَقبضوا على سيُوفِهم وَزحفوا على شيبَةِ الحمدِ وَعمِهِ فلمّا نظرَ المطّلبُ إلى ذَلكَ قالَ يا ابنَ أخى خُلنى أتقَدَّمُ أمامَكَ وَأجعَلُ رَوحى فِدارَوحكَ كما ترَجّلَ القومُ عَنِ الخيلِ إلاّ وَقد عَزَموا أنْ يُوقعوا بنا الوَيلَ فقالَ شيبةُ الحمدِ الويلُ إليهم واصِلٌ وعنَّا زائلٌ وها أنا يا عمّى أظهرُ لكَ مِنْ قدرَةِ اللهِ ما يسُرُّكَ فاعطنى يا عمّى قوسَكَ وَنبلكَ فقالَ يا ابنَ أخى إنَّ قوْسى لا يَطيقُ أن يجذِبَهُ أحدٌ منَ الناسِ سوَى بنى عبدِ مناف فقال شيبةُ الحمدِ وأنا مِنْ بنى عبدِ مناف فقالَ صَدقتَ يا ابنَ أخى غيرَ إنكَ صبىٌّ وَساعِدُكَ صعيفٌ وَستَبلغُ مبلغَ الرَّجال وترمى عليهِ بالنِبالِ لأنَّ هذا القوسَ يتوَارثونهُ أصحابُ الثوبِ المُنتَقلِ وهُوَ قوْسُ جدِّكَ إسمعيلَ وَسيكونُ لكَ كما كانَ لأبيكَ هاشم واعلم يا ابنَ أخى أنَّ هذا القوْسَ مِنْ جُملةِ ما خصَّنا اللهُ به وَشرَّفنا بهِ عَلى مَنْ سِوَانا إلاَّ ما ناوَلتنى القوْسَ فلمّا أقسَمَ بذلكَ عليهِ ناولهُ القوسَ وَقالَ لهُ يا ابنَ أخى نحنُ على بُعدٍ مِنَ القوْمِ وَالقوْسَ قوىٌّ وَساعِدُكَ ضَعيفٌ لأجلِ صِغرِ سِنِّكَ فقالَ يا عمّى إنما الصّغيرُ مَنْ لا عَقلَ لهُ والحمدُ للربِّ القديمِ لا صِغرَ يُزرى بنَا وَلا ذلةَ تُنقِصنا واعلم أنَّ اللهَ عزَّ وجلّ إذا أودعَ العَبدَ حكمةً لا يُنقصهُ صِغَرُهُ هلُمّ إلينا بالقوْسِ وَالنَّبلِ يا ابنَ عَبدِ مَنافٍ قالَ

فناوله القوس ونبلة وقال خذ هذه نبلة تمر ضائعة ونحن أحوج ما يكون إليها الآن فقال شيبة الحمد يا عم إنها نافعة وصائبة إن شاء الله تعالى لا خائبة ثم ألجم القوس بالنبلة والمطلب ينظر وجذب القوس حتى جاوز شحمة أذنه وقال أنا ابن هاشم أنا ابن السادة الأكارم ثم أطلق السهم فوقعت النبلة فى فارس من اليهود فى صدره فخرجت من ظهره فسقط ميتاً ثم ناوله المطلب أخرى فأصابت آخر فى رأسه فخر هاوياً فناوله ثالثة فجاءت فى درقه فخرجت منها وقتلت رجلاً فلما رأى اليهود ما نزل بهم تقهقروا إلى ورائهم وكان شيبة الحمد كلما رمى نبلة يقول أنا ابن زين المواسم أنا ابن هاشم فأقبل اليهود على بعضهم بعض وقالوا ألا تدرون هذه المصيبة العظمى هذه النبلة الصائبة إنما هى من غريمكم الذى خرجتم فى طلبه فقال لاطية يا ويلكم لئن رجعنا عنهما لنكونن من الخاسرين وكيف وأنتم سبعون فارساً وهما اثنان قال فرجعت اليهود بأجمعهم وترجل المطلب وأظهر سيفه فى يده فبينما هم كذلك فى أشد القتال وإذا بغبرة عالية كأنها الليل المظلم فتأملاها واشتغلا بها عما كان عليه من القتال وإذا بالغبرة انكشفت عن أبطال برماح طوال وسيوف صقال وإذا هم أربعمائة

فارسٍ عَليهمُ الدّرُوعُ السّوابِغُ فاذا هُمْ حُماةَ الأوْسِ والخزرجَ وَفُرْسانُ بنى النَّجارِ وَفى أوائِلِهِمْ سَلمى بنتُ عمْرٍ والنجّاريّةُ وَهىَ كالثَّكلى منْ كثرَةِ مَا حَلّ بها منْ فرَاقِ وَلدِها وَهىَ تنشدُ وَتقولُ شعراً :

قلبى لأحبابى صَبا وَنومُ عينى ذَهبَا
وَمُهجَتى تقطّعتْ وَالقلبُ مِنى التهبَا
شوْقى لشيبةَ الحمدِ إذا باعَدَ منى وَانقلبَا
مِنْ بَعدَ أنْ رَبّيتُهُ وَصارَ قِرناً أنجَبَا
وَهكذَا الدّهرُ يُرِى فى كلّ يومٍ عجباً
وَاحرْباً مِنْ فُرْقتى لِوَلدِى وَاحرْباً

فلمّا رأى اليهُودُ أبطالَ الأوْسِ وَالخزْرَجِ أيقَنُوا بالهَلاكِ غيرَ أنهمْ أجمَعوا على المكرِ وَالخديعَةِ وَصارَ لاطيةُ يَقولُ خلوا شيبَةَ الحمدِ فقدْ لحِقَهُ طالبُوهُ وَمنْ بهِ أوْلى منّا فلمّا سمعَهُ شيبةُ الحمدِ قالَ لا كُنتَ يا عدُوَّ اللهِ ثمَّ ألجمَ القوْسَ نبلةً وَقصَدَ بها لاطيَةَ وَقالَ خُذْها وَأنا ابنُ هاشمٍ وابنُ السّادَةِ الأكارِمِ وأطلقهَا فأصابتْ لبّتَهُ فانجَدَلَ طريحاً فصَاحَ المطلبُ لا شُلتْ يدَاكَ وَلا كانَ مَنْ يَشْناكَ فلمّا وَصلتْ خيلُ سَلمى لم يُمْهلوا اليهُودَ حتى حملوا عَليهِمْ وَأبادُوهمْ

عَنْ آخِرِهِمْ قالَ وَعطفتِ الخيلُ نحوَ المطّلبِ وَشيبةِ الحمدِ وَقدِ انضَمّا نحوَ المطيّةِ وَالسّيفُ بيَدِ المطّلبِ وَالقوْسُ بيَدِ شيبةِ الحمدِ فخشَيتْ على وَلدِها أنْ يُصابَ بحلقةِ الخيلِ فأشارتْ اليهِمْ أنْ قِفوا مَكانكُمْ فوَقفُوا وَكانتْ مُطاعةً فى قوْمها فتقَدّمتْ سَلمى حتى دَنتْ مِنَ المطلبِ وَولدِها وإذاً المطّلبْ قدْ أخذَ أهبَتَهُ وَجمعَ أذيالهُ فى دَوْرِ منطقتهِ وقدْ عوّلَ أنْ يَمُوتَ دُونَ أنْ يرُدَّ ابْنَ أخيهِ فلمّا قرُبتْ سَلمى نادَت بأعلى صَوتها مَنْ ذا المُهاجِمُ على مَرابضِ الأُسْدِ وَمنْ ذَا الذِى فرّقَ بَينى وبَينَ وَلدِى وَمنْ ذا الذِى أخذَهُ وَسرَى بهِ قهْراً مِنْ بَلدِى فقَالَ المطّلبُ فعلَ هذا بَعضُ أقاربهِ وأدَانيهِ وَأحبُّ النّاسِ فيهِ ليَرُدّهُ إلى حَرَمِهِ وَحرَمَ أبيهِ فمَا جسُرَ عَليهِ مَنْ أرَادَ جمالهُ وَلا مَنْ يَبغى أخذاً لهُ وإذْلالَه بلْ يُريدُ أنْ يَزيدَ شرَفاً إلى شرَفِهِ وعِزاً مُضافاً إلى عِزِّهِ فلمّا سَمِعتْ سَلمَى مِنَ المُطّلبَ هذَا الكَلامَ علمَتْ أنّهُ كلامَ رَاغبٍ وَهُوَ مِنَ الأقاربِ فقَالتْ مَنْ أنتَ مِنْ عُمُومتِهِ يَا علىّ المرَاتبِ فقالَ أنا المُطّلبُ بْنُ عبْدِ مَنافْ صاحِب رِحلةِ الإيلافِ ومِنْ أوْلادِ السّادَةِ الأشرَافِ فقَالتْ سلمَى مَرحباً بكَ وأهلاً ولكنْ مَا قصّرَ بكَ إنْ جئتَ فى طَلبِهِ أنْ تستأذِنَ فى أخذِهِ لأنّ فى

إخراجه هكذا من بلدنا هواناً بنا واستخفافاً بحقنا أمّا علمت يا سيِّد الحرم أنى استرطت على أخيك هاشم متى ما رُزقت منه ولداً يكون معى لا يفارقنى فكيف نقضتم العهد وأخلفتم الوعد فقال المطّلب يا كريمة العرب هذا الذى منعنى أن أستأذنك فى أخذه قال فكظمت غيظها وقالت الآن قد تعدّيت وبفظّك قد تجاريت وبعد هذا فلا ألوم عليك وإنما ألوم على ولدى إذ وافقك على مرادك ثمّ أتت إلى شيبة الحمد وقالت له يا واحد أمّه عصيت أمّك وأطعت عمّك والإرتحال إلى بلدك كيف ينبغى لك يا ولدى أن تفارقنى بعد الرِّضاع والتربية واعلم أنّ هذا عمُّك وأنا أُمُّك فانظر أيّنا أحببت فوعزّة الربّ الأعلى الذى أنشأ الخلق وجعل منهم أعزّاء وأذلاء إن طلبت عمُّك لا أمنعك منه أبداً ولئن طلبت أمّك لا أسلّم فيك أبداً ما دمت فى الحياة هذا كلّه وشيبة الحمد مطرق رأسه إلى الأرض وقد جلله الحياء من أُمّه وقد حنّت جوارحه وجميع أعضائه وذرفت عيناه بالدّموع وأراد أن يجيبها فزاد به البكاء ولم يقدر على النُّطق فقالت له يا ولدى ما الذى يبكيك إن كان سكوتك هذا حياءً ممّا قد فعلت وحياءً ممّا تراه

إنْ طلبتَ عمّكَ لا أمنعكَ عنْ شهوتِكَ قالَ فجعلَ شيبةُ الحمدِ يرفعُ رأسه ودموعهُ تسيلُ على خدهِ وينظرُ لأمهِ مرَّةً ولعمهِ أخرى فعلمتْ أمُّهُ أنهُ يريدُ عمّهُ وأرادتْ إذهابَ الشّكِّ باليقينِ وقالتْ يا شيبةَ الحمدِ أبكَ صممٌ أو خرسٌ فأنتَ ذربُ اللسانِ وقوىّ الجنانِ فوحقِّ الربّ الكريم لا بدّ منَ الجوابِ فلمّا سمعَ قسمها رفع رأسهُ إليها وقالَ لها والله ياأماه ما بى خرسٌ ولا صممٌ ولكنْ أخشى منْ ربِّ البيتِ انْ أعصيكِ فتغضبي علىّ لأنكِ أحقُّ الناسَ بى من كلّ أحدٍ وحقّكِ واجبٌ علىّ إلى الأبدِ لحملكِ إيّاى شهوراً ولشفقتكِ علىّ صغيراً فان أذنتِ لى فى المسيرِ معَ عمّى كانَ ذلكَ وإن حكمتِ علىّ بالرّجوعِ لم يكُن لى أن أخالفكِ قالَ فلمّا سمعتْ سلمى كلامهُ بكتْ وقالت اللهُ شاهدٌ على لا أمنعكَ بعدَ هذا ولا أمنعكَ ما تريدهُ برضىً منى لا ساخطةً عليكَ غيرَ أنى كُنتُ أتسلىّ بكَ عن أبيكَ الذى لربّهِ مضى وحالَ بينى وبينه القضا ولكنْ إذا بلغَ أعمامكَ مناهُمْ وكانَ فى ذلكَ رضاهُمْ وقدْ آثرتهُم علىّ فاذكرنى يا ولدى فى الصّباحِ والمساء فلا بدّ أن يكونَ لكَ وقتٌ تُسَرُّ بهِ أهلكَ وتبلغَ فيهِ أملكَ ويكمدُ

فيهِ ضِدُّكَ وعَدُوُّكَ ثمّ إنّ سَلمى أتت إلى وَلدِها وَقبّلت ما بَينَ عينيهِ وهيَ تُوَدِّعُه وتبكِي وتقولُ شعراً

ألا أوحشَ الله منكَ يا ولدِي   أشعَلتَ لهيبَ النارِ فى كبدِي

يَا شيبةَ الحمدِ شابت منكَ ناصِيتى

وَعادَ نومى مَفقوداً إلى الابدِ

كيف اصطبارِى وأفكارِى تُشاغلُنى

والرُّوحُ فى بَلدِ والجسمُ فى بلدِ

يا نورَ بصرِى ونورَ العينِ فى غسَق

غُيِّبتَ عنى بنُورَ العَينِ يا سَندِى

وغَيّبَ الدّهرُ هاشماً عَن نوَاظِرِنا

وأنتَ خاتمةُ الاحزانِ يا وَلدِى

لا عاشَ يومُ التفرُّقِ بيننَا وَعسَى

يَحيَ زَمانٌ تلاقينَا بلا فَنَدِ

ثمّ أقبَلت إلى عمِّهِ المطّلب وقالت يا ابنَ عبدَ منَاف هذا وَدِيعتى عندَكمُ فبِحقِّ البيتِ ومَن بَناهُ وَالرّبُّ وَمَن دَعاهُ ألاَ ما حفِظتُم وَدِيعَة أخِيكمُ التى سلّمها إلى بعهدٍ وميثاقٍ فاذاً لحقَ وَلدِى مَلاَحِقَ الرِّجالِ فانظرُوا بمَن تقارِنوهُ ولا بُدّ مِن أنْ يكونَ لهُ شأنٌ وأىُّ شأنٌ تتحدّثُ به القفولُ والرُّكبانِ فى سائرِ

البِلدَان فقالَ لها المطَّلبُ جزاكِ ربُّ البيتِ خيراً وَلا أرَاكِ ضُراً فلقَد تكلَّمتِ فأحسنتِ وتكرَّمتِ فأنعمتِ فوَاللهِ مَا أنسَى هذا الجميلَ أبداً وَلنُجازِينَّكِ عليهِ بأفضَلَ جزَاءٍ ثمَّ إنَّ المطَّلبَ سَلَّمَ على سَلمى وعلى ساداتِ قوْمِها وَأرَادَ المَسيرَ فقالتْ لهُ ياعمُّ وَلدِى خُذْ هذهِ الأسلاَبَ لتَتقوَى بها على سَفرِكَ فقالَ المطلبُ بُورِكَ لكمْ فيها فوَربُّ البيتِ لا ألتمِسُ مِنها شيئاً ثمَّ وَدَّعَها ورَكِبَ المطلبُ ناقَتَهُ وَأرْدَفَ شيبةَ الحمدِ خلفَهُ وَهوَ فرِحٌ مسرورٌ ويُنشِدُ يَقولُ :

لنَا الفخرُ العَظيمُ إذا انتمَينا ... تَوَارَثهُ هُمامٌ عَنْ هُمامِ

حَوْينا الفَخرَ مِنْ شرَفٍ وفخرٍ ... ونحْنُ وُلاةُ زَمزَمَ وَالمقَامِ

وَنسبَةُ هَاشمٍ منَّا وإنَّا ... نجومُ الأرْضِ والبلدِ الحرَامِ

وإنْ ساءلتَ عنَّا يومَ حرْبٍ ... فنَحنُ الصَّائلونَ لدَى الزِّحامِ

أخذْنا شيبةَ المختَارِ فينَا ... عزيزَ الاصلِ من قوْمٍ كِرَامِ

سَنبذِلَ دُونهُ الارْوَاحَ منَّا ... وَنترُكُ أنفَ مَنْ يِاتيهِ دَامى

على أطلاَلِ يَثربَ ما تغنَّتْ ... حمامُ الايكِ من طرَبٍ سلامى

وَسارَ المطَّلبُ وشيبةَ الحمدِ للأسفارِ طَالبِين ولإسكانِ الحرَمَ رَاغِبينَ فلمَّا قرُبا مكَّةَ قالَ المطَّلبُ لشيبةِ الحمدِ يا ابنَ أخى اعلمْ

أنى أُرِيدُ أنْ أكتمَ أمرَكَ حتى تشُبَّ وَتباُغَ وتحصُلَ رِياستُكَ فلا يَكبُرَ عليكَ ما أنا فاعِلهُ مِنْ أجلِكَ وَلقدْ رَأيتَ ما فعلَ اليهُودُ فِينَا فقالَ شيبةُ الحمدِ يا عمِّى قدْ أسامتْ أمرِى إليكَ فلا اعترَاضَ لى عليكَ فافعَل ما ترَاهُ أصلحَ اللهُ أحوَالكَ وَعمّرَ أطلاَلكَ فلمّا دَخلاَ مكةَ وقدْ أضاءَتْ مِنْ وَجهِهِ أنوَارُ رسولِ اللهِ ﷺ فأَضاءَتْ منها الشِّعابُ والرِّضابُ فأتى اليهِ الناسُ مِن كل مكانٍ وَأنوارُ رسولِ اللهِ ﷺ تلمَعُ فى جَبينِ شيبةِ الحمدِ حتى أشرَقتْ منها الشِّعابُ والرِّضابُ فأقبلوا على المطّلبِ وَقالوا أيُّها السيِّدُ مَن هذا الذِى مَعكَ فلقَدْ أشرَقتْ مِنْ نورِهِ الرّوَابىَ وَالرِّضابَ فقالَ عبدُ المطّلبِ هَذا عبدٌ لى فصرَخَ القَومُ يَعنى أهلَ مكةَ وقالوا ما أكثرُ نورَ عبدِ المطّلبِ وَما أحسَنَ عَبدِ المطّلبِ إلى أنْ أتى بهِ إلى مَنزِلهِ وكتمَ أمرهُ وَباتوا تِلكَ الليلةَ يتَحدّثونَ فى أمرِهِ نساؤُهمُ وَرِجالهُم صَغيرُهمْ وكبيرُهمْ ويقولونَ ما رَأينَا غُلاماً كغُلامِ عبدِ المطّلبِ يا ترَى مِنْ أينَ لهُ هَذا العبدُ فلقَدْ زَها نورُهُ على سَائرِ البدْوْ والحضَر وَظهرَتْ لعبدِ المطّلبِ بمكةَ مناقبُ عجيبةٌ والنساءُ والنّاسَ يَقدِمُونَ من الشِّعابِ يَنظُرُونَ أنوَارَهُ وَيتعجبونَ من هَيبتهِ وَوَقارِهِ قالَ فلمّا تكاملَ شبَابُهُ عمدَ المطّلبُ اليهِ فدَهنَ رَأسهُ ونظّمَ ذَوَائِبهُ وألبسهُ

قميصَ قُصيّ وَرَدّاهُ برداءَ لُؤَيّ وكلّلهُ باكليلِ هاجر وطوّقه بطوقِ كلابِ ابن مُرّة وعصّبهُ بعصابةِ النّضر بنِ كِنانةَ ومَنطقهُ بمَنطقةِ إبراهيمَ الخليل ووشّحهُ بقوسِ إسماعيلَ وأنعلهُ بنعلِ شيث وَختمهُ بخاتمِ نوحٍ وَعمدَ إلى مطيّتهِ فأرجلها بكورها وقالَ لهُ يا شيبةَ الحمدِ اركبْ هذهِ المطيّةَ وَسِرْ عليها فاذا توسطتَ الأبطحَ وَرأيتَ الناسَ قدْ تكاملوا فلاَ يرُعنّكَ مكانُهُمْ وَصُلْ عليهمْ صولةَ الهاجمِ ليهابوكَ وَيعرفوكَ وَها أنا أمامكَ وأجمعُ لكَ أهلكَ وأعمامَكَ فتأنَّ أنت فى سيركَ إلى أنْ تعلمَ أنى فرغتُ ممّا أردْت فقالَ شيبةُ الحمدِ حُبًّا وكرامةً وسمعاً وطاعةً فسارَ المطلبُ إلى الكعبةِ فوَجدَ الناسَ ما بينَ طائفٍ ومُتضرّعٍ ولائذٍ بالأصنامِ فصرخَ وَقالَ يا بَنى لُؤَيّ بنِ غالِب يا بَنى فهرِ بن مالِك يا بَنى عبدِ مَناف إعلمُوا أنهُ قدْ جاءَكمْ أمرٌ فيهِ شرفُكمْ فهلُمُّوا واشهدوا فانهُ يومٌ عظيمٌ ومَحفلٌ كريمٌ وتجديدٌ لمجدكمُ القَديم فدُونكمْ والأبطح قالَ فمالَ الناسُ للأبطحِ بأسرِهم فلمّا تكاملوا بالأبطحِ تطاولوا بالأعناقِ وَتشاخَصوا بالأحداقِ فبَينما همْ كذلكَ إذْ أشرفَ عليهمْ شيبةُ الحمدِ بنُ هاشمٍ بزينتهِ وهوَ راكبٌ علي مَطيتهِ وَأنوارُ رَسولِ الله ﷺ تُشرقُ منْ جبينهِ فأشرقَ منها الأبطحُ وَالصفا حتى غشِيَ النّورُ أبصارَهمْ وَتاهتْ أفكارُهمْ

فأقبلَ عديٌّ بنُ نوفلَ على المطّلبِ وقالَ أيُّها السيّدُ الجليلُ أتُريدُ أن تفتخرَ علينا بعبدكَ فلم يرُدَّ عليه جواباً فلما توسّطَ شيبةُ الحمدِ جمعهُم أمسكَ خُطامَ مطيّتهِ ولم ينزلْ عنها بل تنحنحَ فأنصتَ وتكلّمَ فأبهتَ ثمَّ رفعَ صوتهُ فقالَ الحمدُ للهِ مُديم الدّيوم وخالقِ النُّجوم أحمدُهُ على ما خصّنا من الشّرفِ القديم والنّبأِ العظيم من تقدّمَ فينا وعدُهُ وسبقَ إلينا عهدُهُ وأودعَ نورُهُ في كرائمِ الاصلابِ والطاهراتِ منَ الانسابِ إلى أنْ وصلَ إلى إبراهيمَ الخليلِ ومنْ بعدهِ إلى ولدهِ إسماعيلَ إلى أنْ وصلَ إليَّ وجمعَ ضياءَهُ لديَّ وإني شيبةُ الحمدِ بنُ هاشم العُلا ألاَ وأنا صاحبُ النُّورِ والسّنا ، ولقدْ عُرفتُ بينكمْ بعبدِ المطّلبِ سمّاني بهذا الاسمِ الرّجالُ منكمْ والنّسا ألاَ وإني منكمْ واليكمْ وأعزُّ الناسِ إليكمْ وأُريدُ منكمْ أنْ تترُكوا لي منزلةَ أبي من الشّرفِ وتُلحِقوا بي ملاحقَ السّلفِ غيرَ أني لا أخرُجُ عنْ عصائبكمْ ولا أُحمّلكمْ مالاَ تطيقُونَ ولا أُخالفكمْ فيما تُشيرُونَ ولكمْ مني العدْلُ والانصاف واتّباعُ ما كانَ عليهِ آبائي الاشراف ساداتُ بني عبدِ مناف أصحابُ رحلةِ الإيلافِ المُطعِمونَ الطعامَ والناسُ عجاف ولي منكمْ الحمايةُ ولكمْ مني الإعانةُ والإسعاف فهلْ عليَّ يا منْ حضرَ فيما أوردتُهُ منَ الكلامِ ملامَ والسلامُ على السادةِ الكرامِ فما استتمَّ كلامُ شيبةُ الحمدِ حتى

تواثبوا إليه كالأسود وأناخوا مطيته وتبادروا يقبلون يديه ويشيرون بالطاعة إليه فنهض المطلب وقال يا أيها الناس هذا سيدكم وابن سيدكم هذا شيبة الحمد بن هاشم العلا فان أردتم تقديمه فقدموه وألحق أبيه فأدوه ثم قال لهم إنه اليوم عليكم من الخلف وقد أخذ مرتبة من سلف وها أنا قد سلمت اليه من يومى هذا كل ما ترون من المفاخر عليه مما ورثناه من النبيين والمرسلين ولقد سلمت اليه مفاتيح الكعبة وسقاية الحاج فهل رضيتم بذلك يا سادات الحرم وأهل البيت المعظم فقالوا جميعاً أى ورب الكعبة رضينا ثم رضينا ثم تابعه القوم جميعاً وقالوا له أنت الحاكم علينا والخليفة لدينا قال فمن هنالك انصرف الناس وسار عبد المطلب إلى منزله وجرى حكمه على الكبير والصغير والجليل والحقير وتولى أمر الكعبة والسقاية وقام فى قومه بما كان يقوم به آباؤه وأجداده وهو فى كل يوم يزداد جمالاً وبهاءً وقريش كلما وقع لهم أمر أو قحطوا يتوسلون بالنور الذى بين عينيه فيكشف عنهم ما بهم وكاتبته الملوك وهابته الناس وعظموه ووقروه وأما عمه المطلب فانه سار بعد ذلك إلى اليمن فى قضاء حاجة فمات هناك ، قال بينما عبد المطلب نائماً ليلة من الليالى فى الحجر إذ أتاه آت فى

مَنَامِهِ وَقَالَ لَهُ احفُرْ طَيبَةَ قَالَ قُلتُ وَمَا طَيبَةُ ثُمَّ ذَهَبَ عَنى فلمَّا كَانَ مِنَ الغدِ رَجعتُ إلى مَضجعى مِنَ الحِجْرِ فَنِمتُ فجاءَنى فقالَ احفُرْ بَرَّةَ فقُلتُ وَمَا بَرَّةُ قالَ ثُمَّ ذهبَ عَنى فلما كان مِنَ الغدِ رَجعتُ إلى مضجعى مِنَ الحِجرِ فنِمتُ فجاءَنى وَقالَ احفُرْ زَمزَمَ قُلتُ وما زَمزَمُ عَينٌ مُبارَكةٌ لاتُنزَفُ أبداً وَلا تزِم وَتسقى الحجيجَ الاعظمْ وهىَ بينَ الفَرْثِ والدَّمِ عندَ نقرَةِ الغُرابِ الاعظمِ عندَ قرْيةِ النَّملِ فلمَّا تبينَ له ذَلكَ وَدلَّهُ على مَوْضِعها وعرَفَ صِدقهُ قصدَ عبدُ المطلبَ بمعولٍ إلى المكانِ الذِى ذَكرَهُ فحفَرَ فيهِ فلما ظَهرَ لعبدِ المطَّلبِ الماءُ كَبَّرَ فعرفتْ قرَيشٌ أنهُ قدْ أدرَكَ الماءَ فقامُوا إليهِ وقالوا ياسيِّدَ البَطحاءِ إنهُ بِئرُ أبينا إسماعيلَ وإنَّ لنَا فيها حَقًّا فأشرِكنا مَعكَ فقالَ عبدُ المطَّلبِ ما أنا بفاعِلٍ وإنَّ هذا الامرَ خُصِصتُ بهِ مِن بَينِكمْ فقالوا يا سيِّدَنا أنصِفنا فانَّا غيرُ تارِكيكَ حتى نخاصِمَكَ فيها قالَ اجعَلوا بَينى وَبينَكمْ حَكماً قالوا بيننا وَبينَكَ كاهِنةُ بنى سَعدٍ وَكانتْ بأطرافِ الشامِ فخرَجَ وخرَجَ معهُ بنُوا أبيهِ وبنُوا عبدِ منافٍ جماعةً وَرَكِبَ نفرٌ من قُرَيشٍ وَسارُوا يُريدُونَ الشأمَ فمرُّوا ببعْضِ المفَاوِزِ بينَ الحِجازِ والشأمِ فحصَلَ لهمْ ظماٌ فعَطِشوا حتى أيقَنوا بالهلاكِ لعدَمِ الماءَ فجَاؤُا إليهِ

وقالوا لهُ كيفَ نصنعُ فقالَ ماذا تريدُونَ قالوا رأيُنا تبعٌ لرأيكَ فمُرنا بما شئتَ قالَ فإنِّى أرى أنْ نضربَ فى الارضِ نبتغى لانفُسنا فرجاً عسى اللهُ أنْ يرزُقنا ماءً ببعضِ الاوديةِ أوْ فى رأسِ جبلٍ فارتحلوا وسارُوا وتقدَّمَ عبدُ المطَّلبِ أمامهُمْ وإذاً بعينِ ماءٍ قدِ انفجرتْ منَ الارضِ تحتَ خفِّ راحلتهِ فإذاً هىَ عينٌ عذبةٌ فكبّرَ عبدُ المطلبِ وكبّرَ أصحابُهُ ثمّ نزلَ هوَ وأصحابُهُ وشربوا وسقوا المطاياوقالَ لهمْ عبدُالمطلبِ هلمُّوا إلى الماءِ العذبِ الكثيرِ فقدْ سقانا اللهُ منْ فضلهِ ببركةِ هذا النُّورِ الشّريفِ فانى دعوتُ اللهَ بهِ فأقبلَ عليهِ قريشٌ وقالوا تاللهِ لقدْ فضّلكَ اللهُ علينا يا عبدَ المطلبِ إذْ سقاكَ هذا الماءَ فلاَ نُخاصمُكَ فى زمزمَ أبداً بعدَ هذا اليومِ فانّ الذى سقاكَ الماءَ فى هذهِ الفلاةِ هوَ الذى سقاكَ زمزمَ فرجعُوا ولمْ يصلوا إلى الكاهنةِ قالَ وكانَ لعبدِ المطلبِ رجلٌ يحسدُهُ يُسمّى نوفلَ بنَ عدىّ فلمّا كانَ فى بعضِ الايامِ نشأ بينهُما كلامٌ وعلاَ بينهما خصامٌ فقالَ لهُ نوفلٌ يا ابن هاشمٍ امسكْ عليكَ كلامَكَ ولا يغرَّنكَ ما قدْ أعطيناكَ وخوَّلناكَ وإنما أنت غلامٌ منْ بعضِ غلمانِ قومِكَ وليسَ لكَ منهُمْ والدٌ ولا ولدٌ ولا عضدٌ ولاَ مُساعدٌ فبمَ تستطيلُ علينا وإنما كنتَ بيثربَ غريباً



وَحيداً حتى حملكَ المُطَّلبُ إلينَا وَقدَّمكَ علينا وَقدْ أغضَبهُ كلامُ نوفلِ بنِ عَدىٍّ فقالَ لهُ أنتَ تعايرُنى بقلَّةِ الوَالدِ أما وَاللهِ هُوَ القادِرُ أنْ يرزُقنى منَ الاولادِ أكثرَ ممَّا رَزَقكَ ويكونونَ أولاداً تقرُّ بهمْ أعيُنِ الناظِرينَ ثمَّ رَفعَ رَأسهُ إلى السماءِ وبَكى وَقالَ اللهُمَّ يا رَبَّ هذا البيتِ المعظَّمِ والبلدِ المُكرَّمِ نذراً واجباً لا أُحولُ عنهُ أبداً إنْ رَزقتنى منَ الاولادِ عشرةَ بَنينَ لاجعَلنَّ أحدُهمْ لوجهِكَ الكريمِ قُرْباناً وَسارَ يَتعلَّقُ بأستَارِ الكعبةِ وَيُعيدُ نذْرُهُ ثمَّ قالَ اللهمَّ كثِّرْ ولدِى ولا تُشمِتْ بِى أحداً ثمَّ إنَّ عبدَ المُطَّلبِ انصرفَ إلى منزلهِ وأخذَ فى خُطبَةِ النساءِ والتَزَمَ التزويجَ حِرْصاً على الاولادِ ولمْ يتزَوَّجْ إلاَّ مَن كانتْ ذاتَ شرفٍ ومُنعةٍ فى قوْمِها فتزوَّجَ مَنعةَ بنتَ الحارِثِ فوَلدَتْ لهُ الغَيْداقَ والحارِثَ واسمهُ حُجَلٌ ثمَّ الفَرْعا بنتَ خِنْدَفٍ فوَلدَتْ لهُ وَلدَينِ أحدُهما ضِرَارٌ والآخرُ العبَّاسُ رضىَ اللهُ تعَالى عنه ثمَّ هَالةَ بنتَ وَهبٍ فوَلدَتْ لهُ المُقَوَّمَ والزُّبيْرَ والآخرْ حمزَةَ رضىَ اللهُ عنهُ سيِّدَ الشُّهداءِ ثمَّ آمنةَ بنْتَ هاجرٍ فوَلدَت أبَا لهَبٍ ثمَّ فاطمةَ بنتَ عمْرٍو المخزُوميَّةَ فوَلدَتْ لهُ وَلدَينِ أحدُهما أبو طالِبٍ والآخرُ عبدُ اللهِ وَالدُ النبىِّ ﷺ وَقبلَ ولادَةِ عبدِ اللهِ نامَ عَبدُ (الله) فرَأى فى مَنامهِ رُؤيا فانتبهَ فزِعاً

مَرْعوباً وَقامَ مِنْ وَقتِهِ وَسارَ إلى كاهنةِ قُرَيشٍ فلمّا أقبَلَ عليهَا قالتْ لهُ يا أبا الحارثِ كأنّكَ طالبٌ أو مَطلوبٌ قالَ رُؤيا قالتْ خيراً يكونُ فمَا الذِي رَأيتَ قالَ رَأيتُ كأنّي خرَجَ مِنْ ظَهرِي سِلسلةٌ بيضاءُ ذاتُ شُعاعٍ يَكادُ نورُها يَخطِفُ الابصَارَ لهَا أربعةُ أطرَافٍ مُتَفَرِّقة طَرَفٌ قدْ بَلغ مَشارِقَ الإرْضِ وطرَفٌ قدْ بَلغَ مَغارِبها وَطرَفٌ لِحقَ عنانَ السماءِ وَطرَفٌ قدْ جاوَزَ الثَّرَى فبينما أنا أنظُرُ إليها إذْ تحوّلتْ فصارَتْ شجَرَةً خضْراء جامِعَةَ الثِّمارِ قدْ أخذَ غُصْنها أقطارَ السمواتِ وَرُؤُسَ الجبَالِ ولها نورٌ عَظيمٌ قدْ أضاءَتْ لهُ الاقطار ورَأيتَ تحتَ الشَّجرَةِ رَجُلينِ أحدُهما نبيّ اللهِ نوحٌ والآخرُ إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ فقُلتُ ما بالُكما جالِسينَ تحتَ هذهِ الشّجرَةَ فقَالا نستظِلُّ بظِلهَا قالَ فتعَجّبتِ الكاهِنَةُ مِن هَذِهِ الرُّؤيا وأقبَلتْ على عبدِ المطلِب وَقالتْ يا أبا الحارثِ رُؤْياكَ مُبارَكةٌ وفيهَا لكَ نُصرَةٌ وبِشارةٌ وَعلى الكَهنةِ بوَارٌ وخسارةٌ ولئنْ صدَقتْ رُؤياكَ ليَخرُجنَّ مِن ظَهرِكَ مَنْ يَدعوا أهلَ المشرِقِ والمغرِبِ والبرِّ والبحْرِ وَأهلَ الارْضِ جميعاً إلى مِلّتِهِ وَليَكنْ رَحمةً على قوْمٍ وَنقمةً على آخرِينَ ، قالَ فانصَرَفَ عبدُ المُطلبِ إلى منزِلهِ فَرِحاً مسرُوراً برُؤياهُ وَعلمَ أنَّ هَذِهِ

الرُّؤيا لا شكَّ فيها من أجلِ صاحبِ هذا النُّورِ الشريفِ المُتوارَثِ مِنْ لَدُنْ آدمَ إلى أن وَصلَ إليهِ فخرجَ يوماً إلى القَنَصِ والصَّيدِ فلمَّا انتصفَ النَّهارُ وَقوِيَ الحرُّ أصابهُ العَطشُ فبينما هُوَ كذلكَ إذْ نظرَ إلى ماءٍ قدِ انفجرَ مِنْ وَسطِ حجرٍ فدَنا منهُ وشَربَ فوَجدَ لهُ لذَّةً على قلبهِ وبرْداً فرَجعَ عبدُ المُطَّلبِ إلى منزلِهِ فواقعَ زَوجَتهُ فاطمةَ بنتَ عمرٍو المخْزوميةَ فحمَلتْ بعبدِ اللهِ والدِ النبيِّ ﷺ وهُوَ أصغرُ أولادِهِ وَأحسنُهُمْ وأجملُهمْ فأصبحَ وَقدْ فُقِدَ النُّورُ مِنْ وَجهِهِ فعلمَ أنَّ النُّورَ قدِ انتقلَ إليها فبَشَّرَها بذلكَ فسُرَّتْ سُرُوراً عَظيماً فلمَّا تكاملَ حمْلُها وضعَتْ عبدَ اللهِ أيسرَ وَضعٍ بلا وَجعٍ ولا عناءٍ فلمَّا سَقطَ إلى الارضِ سَطعَ النُّورُ المحمدِيُّ مِنْ جبهتِهِ حتى بلغَ عنانَ السَّماءِ فنظرَ إليهِ أبوهُ عبدُ المُطلبِ وَقالَ لا شكَّ هُوَ الذِي حذرَتهُ اليهودُ ثمّ أخذَهُ إليهِ وقبَّلهُ بينَ عَينيهِ قالَ واشتهرَ خبرُ موْلِدهِ وكانتْ تخافُ منهُ الكهَنةُ وكانَ السببُ فى إعلامِهمْ بهِ أنهُ كانَ عِندَهُمْ جُبَّةُ يَحيَ بنِ زكريَّاءَ وكانتْ بيضاءَ وكانَ فيها دَمُ يَحيَ وكانَ فى علمِهِمْ أن هَذهِ الجُبَّةَ مَتى قطرَ الدَّمُ منهَا يكونُ أوانُ إخراجِ صَاحبِ السَّيفِ المسْلول عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُطلبِ فلمَّا رَجعَ الدَّمُ



إلى الجُبَّةِ رَطباً وقطَّرَ منها علموا ذلكَ وأيقنوا بظهورِ سيِّدِ الأوّلينَ والآخرينَ وَرَسولِ ربِّ العالمينَ ﷺ فاغتمُّوا لذلكَ غمًّا شديداً وحصلَ لهُمْ وجلٌ عظيمٌ وكانَ عبدُ اللهِ والدُ رَسولِ اللهِ ﷺ يَشُبُّ وَينمُو فى كلِّ يومٍ مِقدارَ شهرٍ وَفى الشهرِ مِقدارَ السَّنةِ والبدوُ والعربُ يتعجبونَ مِنْ أنوارِهِ وَكمالِهِ ونُموِّهِ وَجمالِهِ فلمَّا مَضى لهُ مِنَ العُمرِ سبعُ سِنينَ وترعرعَ جعلَ يَطوفُ حولَ الكعبةِ وَيُسرُّ بنظرِها وَلاَ يُفارِقها نهاراً وَيرجعُ إذا دَخلَ اللَّيلُ بيتَ أمِّهِ وكانتْ كلمَا نظرَتْ اليهِ امرأةٌ افتتنَتْ بِهِ لكثرةِ جمالِهِ وأنوارِهِ وهيبَتهِ وَوَقارِهِ وَلقدْ لقِيَ منَ النِّسوةِ مِثلَ ما لقيَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ فى زَمانِهِ قالَ فلمَّا تكامَلتْ أولادُ عبدِ المُطلبِ عشرةَ ذُكورٍ ذلكَ جمعهُمْ وأعلمَهُمْ بنذرِهِ وقدِ اهتمَّ لوفائِهِ بعدَ أن أتاهُ الهاتِفُ فقالَ لهُ يا عبدَ المُطَّلب أوفِ بنذرِكَ ثمَّ قالَ عبدُ المُطَّلب لأولادِهِ ما تقولونَ فى وَفاءِ نذرِى قالوا نحنُ لكَ وبينَ يديكَ وَأوَّلُ مَن خاطبهُ مِنهُمْ أصغرُهمْ عبدُ اللهِ فقالَ أما أنا فقدْ رَضِيتُ وصبَرتُ على ما حكَمتَ فلمَّا سمعَ عبدُ المُطَّلبِ كلامَ وَلدِهِ شكرَهُ وَبكى وقالَ لهُمْ فى غدٍ اغسِلوا أبدانَكمْ وتعطَّروا وَودِّعوا أُمَّهاتِكمْ لا تدرُونَ

أ / شعبان صبره

مَنْ يَكونَ المخصُوصَ مِنْكمْ بالذَّبحِ قالَ فتَفرَّقوا وَأخبَروا أُمَّهاتِهمْ فضَجَجنَ بالبُكاءِ والصِّياحِ وَأقامَ عَبدُ المُطَّلبِ بقيَّةَ يَومِهِ مَهْموماً لمْ يَأكلْ طعَاماً ولمْ يَشربَ ماءً فلمَّا برقَ ضياءُ الفَجرِ قامَ واغتسلَ وأخذَ معَهُ مُدْيةً وَحبلاً وَدَعا أولادهُ فأجابُوهُ وتأمَّلهُم فلمْ يجدْ عبدَ اللهِ فيهِمْ فصَمِدَ إلى منزلِ أمِّهِ فوَجدَهُ وهيَ مُتعلِّقةٌ بهِ وهُوَ يَصيحُ ويقولُ دَعيني أمضى إلى أمرِ ربى وَرِضا والدِى قالَ فلما رأتْ عبدَ المُطَّلبِ أطلقَتْ يَدَيها عنهُ وَقالتْ لهُ يا سَيِّدَ الحرَمِ أتُرِيدُ أن تذبَحَ ولدِى ذَبحَ البُدْنِ أو تنحَرَهُ نحْرَ الغنمِ وهُوَ ثمرَةُ الفُؤادِ ومحَلٌّ النَظرِ مِنَ السَّوادِ فنَظرَ لها عبدُ المُطلبِ وقالَ لهَا يَعِزٌّ علىَّ أن أشُكهُ بشوكةٍ ولكِنْ حقٌّ اللهِ علىَّ واجبٌ عنْ حقِّهِ وعسى ربِّى أن يقيهُ ويرْحمَ صِغَرَ سِنِّهِ وإنْ كانَ للهِ رضىً فى ذَبحِهِ لأذبحَنهُ ولأُبكِيَنَّهُ وأندُبهُ ما دُمتُ حيًّا فانكبَّتْ عليهِ أمُّهُ فاطمَةَ تُقَبِّلهُ وتبكى وَعبدُ اللهِ يقولُ لها نا شدتُكِ اللهَ إلا ما أطلقتِينى أمضى إلى أمرِ رَبى فأطلقَتْ يدَيْها عنهُ إبرَاراً للقسَمِ وَخرَجتْ فى أثرِهِ وَهىَ تبكى ثمّ إنَّ عبدَ المطلبِ أخذَ عبدَ اللهِ وبقيَّةَ أولادِهِ وَأتى الكعبةِ وتعلقَ بأستارِها ونادى بأعلى صَوتِهِ اللهُمَّ رَبَّ زَمزَمَ والبيتِ المعظَّمِ اللَّهمَّ سألتُكَ فأعطيتَنى فأنجِزْ أمرَكَ

وأخرج القداح على من قدرت عليه الذبح ثم أتى صاحب القداح وقال له اضرب القداح على أولادي هؤلاء وقال لهم كل واحد يأخذ قدحاً يكتب عليه اسمه ففعلوا وقد وقع الصوت بمكة أن عبد المطلب يذبح أحد أولاده قرباناً لرب البيت فأقبل الناس يهرعون من كل فج وشعب هذا والكهنة فرحوا بذلك وقالوا عسى يذبح الذي نخافه وهو عبد الله صاحب النور المتوارث وأنهم نذروا النذور إن تمت في عبد الله الأمور ثم إن صاحب القداح فعل ما أمره به عبد المطلب وضرب بالسهام فخرج السهم على عبد الله فلما علم عبد المطلب بذلك بكى بكاء شديداً وكذا أبو طالب أخو عبد الله ولم يكن في إخوته أشد حرقة على عبد الله منه وعلمت بذلك أمه فاطمة فأخذت التراب على رأسها فلما رأى عبد المطلب ذلك منها لحقه الحزن غير أنه تصبر وقبض على عبد الله وشد وثاقه وأراد أن يذبحه فبينما هو كذلك وإذا ببني مخزوم قد أقبلوا بجمعهم وهم أخوال عبد الله وقد هجموا عليه وخلصوه من بين يديه وقطعوا وثاقه فقال لهم عبد المطلب يا بني مخزوم من جسركم علي فقالوا له يا سيد الحرم ورب البيت المعظم والبلد المحرم لا تركناك تذبح ولد أختنا

هذا أبداً ولو قتلنا عنده عن آخرنا ولقد أتيت بفعل لم يفعله أحد غيرك ولئن فعلت ذلك يصير سنة فى العرب وقريش فلما رأى عبد المطلب ذلك رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم أنت أعلى وأعلم بما أنا فيه وإنى قد أثرت مرادك على مرادى ورضاك على رضاى وقد منعت من وفاء نذرى فانفذ حكمك فىَّ فانه لا رادَّ لحكمك ولا معقب لأمرك قال فأقبل عكرمة بن عامر وكان وجيهاً فى قومه وغيرهم وأشار إلى بطون قريش أن اسكتوا فامتثلوا أمره وتطاولت اليه الأعناق يسمعون ما يقول فأقبل عكرمة على شيبة الحمد وقال له أنت سيد الحرم وسيد البطحاء وأنت ابن هاشم العلا والحاكم على الورى وصاحب مآثر الأنبيا ومثلك يقتدى به وائن فعلت بولدك ما أردت صار ذلك سنة فى العرب يتداولونه أبداً وتضيع الذرية ويقل النسل ونخاف أن يلحقك عار ويلزمك إثمه قال فلما سمع عبد المطلب قوله قال أفتونى،هل أغضب ربى وأنقض عهدى وأرضى عبيده لا كان ذلك أبداً فقال عكرمة نعم لا يليق بك ولكن يا سيد الحرم إعلم أن بالحجاز هنا كاهنة يقال لها سجاح يأتيها تابع من الجن تخبرها بالأخبار وتطلعها على الآثار فسر اليها

وانظُرْ ما يكونُ منْ جوَابها لعَلَّ أنْ تُشيرَ إليكَ بأمرٍ يكونُ لنَا ولكَ فيهِ فرَجٌ لأنَّ النَّاسَ يقصدُونها فى مُهمّاتهمْ فيَرجعونَ بانجاحِ أُمورِهم قال فرَكنَ عبدُ المطّلبِ إلى كلامهِ وَسكنَ عنه ما بهِ قالَ فتَفرّقَ الناسُ وأخذُوا فى أُهبةِ المسيرِ إلى الكاهِنةِ فلمّا كانَ بعدَ ثلاثةَ أيامٍ خرَجَ عبدُ المطّلبِ وَمعَهُ خلقٌ كثيرٌ وأَخذوا مَعهمْ هَدَايا للكاهِنةِ ولمْ يأخُذ معهُ وَلدَهُ عبدَ اللهِ خوْفاً عليهِ منْ يهُودِ خَيبَرَ وَمِنَ الكهنَةِ فلمّا جدّوا فى المسيرِ واستَقامُوا على الطريقِ أنشدَ عبدُ المطّلبِ يقولُ شعراً :

يُعاودُنى همّى فضِقتُ بهِ ذرْعاً
وَلم أستَطِعْ مِمَّا بُليتُ بهِ دَفعاً

نذَرْتُ وَنذْرُ المرْءِ فرْضٌ لازِمٌ
وُلستُ أرَى مِما قضَى اللهُ لى مَنعاً

وعاهدْته عشراً إذا ما تَكامَلوا   أُقرّبُ منهمْ واحداً ما لهُ رجعاً

فأكمَلهمْ عشراً فلمَّا رَأيتُهمْ   أرَدتُ وفاءَ النَّذْرِ دافعنى دفعاً

وَصدُّونَنى عنْ أمرِ رَبِّى وَإننى
سَأرْضيهِ مشكوراً ليَكسُونى نَفعاً

وَسارَ القَومُ مُجِدونَ إلى الكاهِنةِ قاصِدِينَ فلمّا وَصلوا إليها فلمْ يجِدُوها وَسألوا عنها فقِيلَ فى بعضِ حوَائجِها فلمَّا حَضرَتْ

قدّمَ اليهَا عَبدُ المطّلب الهَدَايا وأخبرَها بأمرهِ فنَظرَتْ إليْهِ نَظراً طَويلاً وَتعَجّبتْ منْ نذْرهِ وقالتْ لهُ أرِيحوا أنفسُكمْ هذَا اليَوْمَ منَ التَّعَبِ وَسيظهرُ لكمْ فى ذلِكَ العجبُ حتى يأتِينى تابعِى وَأسألهُ عنْ هذا الأمرِ العجيب فباتوا ليلتَهُمْ فى ضيافتها فلما كانَ منَ الغَد باكرُوها وأتوا اليهَا وسَألوها فلمّا نظرَتْ اليهمْ مليًّا حركتْ رأسها وأنشدَتْ تقولُ شِعراً :

يَا مَرْحباً بالفِتيةِ الأخيارِ ... القَاطِنينَ عِندَ ذى الأستَارِ

جاؤُا وجدّوا السيرَ فى القِفَارِ ... ليَسئَلوا عنْ ضاربٍ حيّارِ

وَقدْ تبَقّى فى فنَاءِ الدّارِ ... إبنٌ كريمٌ طاهرٌ مغوَارٍ

وَصاحِبُ الضِّياءِ والأنوَارِ ... من هاشِمٍ يسمو على الأخيارِ

وكانَ قد أمّل شَيْخُ الدّارِ ... إذا عُطِىَ عشراً مِنَ الصِّغارِ

أنْ ينْحرَ العاشِرَ بالشِّفَارِ ... شُكراً لربٍّ قادرٍ قهّارِ

فقدّموا القِدَاحَ للإظهارِ ... بيدِ شَيْخٍ مِنْ بنى النّجارِ

إذْ وَقعَ القِدَاحُ بالأقدَارِ ... عَلى الصبى الطّاهِرُ الأنوَارِ

وقدْ أتى الشّيخُ مَعَ الحُضّارِ ... إلىّ حتى يَسمعُ الأخبارِ

قالَ فلمّا سَمعَ القَوْمُ منها ذلكَ تعَجّبوا عَجباً عظيماً ثم التَفتَتْ إلى عَبدِ المُطلبِ وَقالتْ لهُ أنتَ صاحِبُ هذَا النّذْرِ وَولىُّ هذا

الأمر فابشِرْ بكلِّ خيرٍ واعلمْ أنَّ لكَ عندي البَشائرُ ثمّ قالتْ وَحقِّ ناصِبِ النُّصُبِ أنتَ لمنْ صميمِ العَربِ وَأنتَ المدعوُّ عبدُ المُطَّلب فزادَ تعجُّبُ شيبةِ الحمدِ وقالَ لها ما قصدتُكِ إلا لتَقضِي حوائِجنَا وترْشدِينَا الخلاصِ ولدِنا قالتْ سيَعلوا أمرُهُ ويَظهرُ سِرُّهُ ويخرُجُ مِنْ ظَهرِهِ منْ سيُزِيلُ الكهَانةَ وَتظهرُ لهُ عِفةٌ وصِيانةٌ وَيُظهِرُ الأمانةَ ويُدحضُ الخيانةَ يَا لهُ مِنْ إنسَانٍ تحذَرُ مِنْ صَولتِهِ الفُرْسانُ والأحبارُ والرُّهبانُ وتخافُ مِنْ هيبتِهِ الإنسُ والجانُّ ولقدْ دنا هلاكُ عُبَّادِ الأوثانِ والنِّيرانِ وَأهلِ مِلةِ الصُّلبانِ وَقد لزِمَني إنْ قصدتُمُوني وَوَفدتُمْ عليَّ أنْ أُعاملكمْ بالحقِّ وأقولُ لكمْ بالصِّدقِ فكمِ الدِّيَةُ فيكم؟ قالوا عَشرَةٌ منَ الإبلِ، واضرِبوا القِداحَ فانْ خرجتْ على الإبلِ فاذبحُوها أوْ على صاحِبكم فزِيدُوا الإبلَ عشراً ثمّ اضرِبوا عليها وعليهِ القِداحَ فانْ خرجتْ على الإبلِ فانحرُوها على صاحِبكمْ فزِيدُوا الإبلَ عشرةً وَهكذَا حتى يرْضى رَبُّكمْ وَينجو صاحِبكمْ فلمّا سَمِعَ القومُ كلامَها سُرُّوا بذَلكَ سُروراً عظِيماً وفرِحَ بذَلكَ عبدُ المُطّلبِ ثمّ وَدَّعوها وَرَجعوا فلمَّا قاربوا مكةَ سَبقَ البَشيرُ ليُخبرَ المُطّلبَ وَسادَاتَ مكةَ وَخرجَ عبدُ اللهِ أيضاً لِلقاءِ أبيهِ

وأنوارُ رسولِ اللهِ ﷺ تلمعُ مِنْ وَجهِهِ فلمَّا رآهُ عبدُ المطلبِ قالَ لهُ يا بُنيَّ إني لا أرجوا أن يَقبَلَ رَبِّي فِدَاكَ ولوْ بذلت جَميعَ ما أملكهُ وَقدْ أُمِرتُ بأمرٍ سوفَ أفعلهُ في غدٍ بشهدٍ منَ الناسِ وأنتَ تنظُرُهُ فانْ كانَ لكَ في ذَلكَ فرجٌ وكفاني ربُّ البيتِ ما أحذرُ عليكَ فذاكَ الذي أرجوهُ وإنْ تكنْ الأُخرى فالأمرُ لرَبِّي وسوفَ أوفِ بنذري قالَ عبدُ المطلبِ اللهُمَّ أنكَ تسمعُ وترَى وَأنتَ بالمنظرِ الاعلى وأنتَ رَبُّ الاولى والآخرى ثمّ أنشدَ يقولُ شعراً :

إنِّي مُوفٍّ للإلهِ بنذرِهِ ... أخافُ أنْ أعصَى إلهي أمرَهُ

واللهُ رَبِّي لا يُكيَّفُ قدرُهُ ... هذا بُنيٌّ قدْ أردْتُ نحرَهُ

فنجِّهِ رَبِّي وَعظِّمْ نصرَهُ ... إنِّي لأرجو بعدَ موتي خيرَهُ

قالَ وأقبَلَ الناسُ يسألونَهُ عنْ سفرِهِ وما كانَ منْ أمرِهِ فجعَلَ يُخبِرُهمْ بقَولِ الكاهنةِ سَجاحٍ وما ذكرتْ لهُ مِنَ الفدا فجعَلَ كلٌّ منهُمْ يُبذِلُ قُدرَتهُ منَ الإبل تطييباً لخاطرِهِ وكلٌّ يقولُ أموالنا فِداؤهُ فلمَّا دَخلَ عبدُ المُطَّلبِ إلى منزلهِ أقبلَتْ إليهِ زَوجتُهُ فاطمةُ أمُّ عَبدِ اللهِ وترامتْ على أقدامهِ وقالتْ له يا سَيِّدَ الحرَمِ لعَلكَ رَأيتَ لوَلدِي فرَجاً قالَ إني لأرجو منْ ربِّ البيتِ أنْ يَقبلَ فِداءَهُ وَلا يُبتليني

بموته وفنائه ثم أخبرها بما قالت الكاهنة فقالت أمه فاطمة وكانت ذا مال كثير يا سيد الحرم أفدي ولدي بكل ما أملكه ولو كان فداؤه ألف ناقة وإن أراد ربي الزيادة زدته حتى يرضى فأبذل في رضاه جهدي وكل ما أملكه من البدن وغيرها فان ابني جعلت روحي فداءه قال فسر بذلك عبد المطلب وقال إني لأرجو من ربي أن يكون سر فؤادي ويبلغ ولدك في دهره مناه قال فسكتت أم عبد الله وهدأت بعد بكائها وتعلق قلبها بنجاة ولدها فلما أصبح الصباح أرسل عبد المطلب إلى الرعاة وأمرهم باحضار إبله وأغنامه ثم عمد إلى ولده عبد الله فغسله وطيبه ومنطقه وقدمه أمامه وألبسه أفخر ملبوسه وأخذ معه الشفرة والحبل فلما رأت أم عبد الله ذلك طاش عقلها وقالت له ما لك ولهذه الشفرة وأرادت أن تأخذها من يده فقال لها لا بد من الاجتهاد في رضا ربي وأبذل في رضاه جهدي وكل ما أملكه من الجمال والأموال لعل أن يرضى به المتعال وإن طلب ربي الزيادة زدته وركبت ناقتي وقصدت ملوك الأرض في طولها والعرض ولم أزل أحاول ربي حتى يرضى فان لم يرض ربي بالفداء وكان في نحره الرضا أسلم لربي فيم قدر

وقضى قالت أمُّ عبدِ اللهِ وقد سلّمت الأمرَ إلى اللهِ يا سيّدِى هُوَ عبدُهُ وأنا أمَتُهُ وأرجو أنْ يقبلَ فداءَهُ ولا يفجعُنى فيهِ ولا يَشمتُ فيهِ أعداؤهُ ثمّ خرجتْ معهُمْ وساروا إلى الحرمِ وقدْ جمعوا الإبلَ وعقلوها وأقبلَ النّاسُ مِنْ كلِّ مكانٍ فقالَ لهُمْ عبدُ المطّلبِ يا بنى الأنبياءَ وقطّانَ الحرمِ أنتُمْ تعلمُونَ منزلةَ الولدِ البارِّ مِنْ أبيهِ وذلكَ أنّهُ رُوحٌ نُزِعتْ مِنْ رُوحٍ وما أنتُمْ بأشفقَ عليهِ منى وقدْ كانت مِنكم بالأمسِ زلةٌ إذ منعتُمونى منْ وفاءَ نذرى وإيّاكمْ أن تعودُوا لمثلِها واتركونى أنا وربِّى أدعوهُ وأتضرّعُ إليهِ وأُناجيهِ فانْ سمحَ وتكرّمَ فذاكَ ما أرجو وإنْ كانَ لهُ فى ولدِى قضاءٌ سابقٌ فهُوَ أولى بهِ منِّى وأقبلَ عبدُ المطلبُ بولدِهِ عبدِ اللهِ فشدّ وثاقَهُ وقدْ أضجعهُ على جنبِهِ ثمَّ قدَّمَ عشرةً منَ الإبلِ وأوقفها مِنْ ورائِهِ وتقدّمَ عبدُ المطّلبِ إلى الكعبةِ وتعلّقَ بأستارِها وقالَ يارَبِّ أمرُكَ حكمٌ وحُكمُكَ عدلٌ العبدُ عبدُكَ وابنُ عبدِكَ وهاهوَ بينَ يديكَ لايمنعُهُ منكَ مانعٌ ولا يدفعُهُ منكَ دافعٌ فاحكُمْ فيهِ بمَا تُريدُ يا حميدُ يا مجيدُ ثمّ رفعَ طرفَهُ الى السّماءِ وأنشدَ وجعلَ يقولُ شِعراً :

يارَبِّ جِئْ باليُسْرِ بعدَ العسْرِ

يا خالِقَ البَرِّ كذا والبَحرِ

أنقِذْ وُلَيدِي من شِفارِ النّحرِ

وَخُذ فِداهُ مِن نِياقٍ عشرِ

ثمّ قالَ لِصاحِبِ القِداحِ اضربِ القِداحَ فضَرَبَ القِداحَ فخَرَجَ السّهمُ على عَبدِ اللهِ فقَالَ عبدُ المُطّلبُ يا ربِّ لكَ الحكمُ ولكَ القَضاءُ وسأرْضيكَ حتى ترْضى ثمّ أضافَ إلى الإبلِ عشرةً فصَارَتْ عشرينَ وجعَلَ يقولُ شِعراً

يارَبِّ عِشرينَ لربِّ شَفْعِ

وَيا خالِقَ الأرْضينَ ذاتِ الصّدْعِ

وَموجِدَ الضُّرِّ كذا والنّفعِ هذا بُنيِّ بَصَرى وَسَمَعى

وقدْ ترَاهُ مُوثِقاً للصَّرْعِ افدَ لنا الأصلَ بهذا الفَرعِ

ثمّ قالَ لصاحِبَ القِداحَ اجلِ السِّهامَ فأجالها فخَرَجَتْ على عبدِ اللهِ فصَرَخَتْ قرَيشٌ وَنادَتْ يا سيِّدَ الحرَمِ والبلدِ المعَظَّمِ إجعَلْ غيرَكَ يَتقدَّمُ ويكونَ الوَاسِطَةَ بينَكَ وَبينَ رَبِّكَ فلعَلَّهُ غضبانُ فقالَ عبدُ المُطّلبِ يا معشَرَ قرَيش وَبنى عَبدِ منافٍ وساداتِ الحرَمِ إنْ يَكُ كذَلكَ فالأوْلى للمُسيءِ أنْ يَتنصَّلَ منْ ذنبِهِ وَيطلبَ الغُفرانَ مِن رَبِّهِ ثمّ

قالَ يا ربِّ إنْ كانَ صوتى بالمعاصِى عنكَ محجوباً فأنتَ غفارُ الذنوبِ ثمَّ أضافَ إلى العشرينَ عشرةً فصارتْ ثلاثينَ ثمَّ رمقَ إلى السماءِ بطرفهِ وجعلَ يقولُ شعراً

يَا ربِّ ثلاثينَ وربِّ الأنعمِ

وربَّ مَنْ طافَ بكلِّ الحرمِ

وأشهُرِ الحج ذواتِ الحُرُمِ هذا الغُلامُ حُبُّهُ فى أعظُمى

فامنُنْ علىّ انْ يُصابَ بالدمِ واقبلْ فِداهُ أنتَ ربِّى الأكرمِ

أرجوكَ ياذا الجودِ جُدْ بالنِّعمِ

إنكَ معرُوف بفضلِ الحكمِ

ثمَّ أجالَ القداحَ فخرجَ السهمُ على عبدِ اللهِ فقالَ عبدُ المطلبِ أرى هذا الأمرَ يزدادُ ثمّ قالَ اللهمَّ أعوذُ برِضاكَ منْ سخطِكَ وأستجيرُكَ منْ نقمتكَ صبراً صبراً فعسىأن يأتى بعدَ العُسرِ يسرٌ ثمّ أضافَ إلى الثلاثينَ عشرةً فصارتْ أربعينَ وجعلَ يقولُ شعراً

يَا ربِّ أربعينَ فى قِيادِى وربَّ ذِى البيتِ معَ الأطوادِ

إنَّ بُنىَّ أصغرَ الأولادِ وحُبُّهُ فى القلبِ والفؤادِ

وأمُّهُ باكيةٌ تُنادِى يا ربّ وقيهِ منَ الحُسَّادِ

واقبلْ فِداهُ يا ربَّ العبادِ فانَّهُ كالنورِ فى البلادِ

وهُوَ أبُو ذاكَ النبىِّ الهادِى محمدِ المبعُوثِ بالإرشادِ

ثمَّ قالَ لصاحِبِ القِداحِ أجِلِ السِّهام فأجالهَا فخرجتْ على عبدِ اللهِ قالَ عبدُ المطلب ياوَلدِي ما أرَى هَذَا الفِدا يُغني عنكَ شيئاً فاصبرْ على مَاحكم وَقضى فضمَّ إلى الإبلِ عشرَةً فصَارَت خمسينَ وَصَارَ يبكي وَيقُولُ (شِعراً)

يَاربّ خمسينَ عظيماتِ البَدنْ فِداهُ يارَبَّ البرَايا وَالزَّمنْ
مُذلَّلاتٍ وَكثيرَاتِ الثمنْ مُسنَّمات قدْ رَفضْنَ للظعنْ
يَرْعين قيصُوماً وَشِيحاً وَعننْ تكنْ فِدَاه أنتَ خَيرُ مؤتمَنْ

ثمَّ جالَ السِّهامَ فخرَجتْ على عبدِ اللهِ قالَ فلما رَأتْ أمه ذَلِكَ بكتْ وَشكتْ فأقبلتْ على عبدِ المطَّلبْ وَقالتْ لهُ يَاسيدَ الحرَمِ إني رَأيتُ أنْ تتأخرَ عني وَتدَعني أدْعو رَبي فعَسى أنْ يرْحم تضرُّعي وَلعلَّه يَقبلُ النسوَان وَيغيثُ اللهفَان لأنهُ موْصُوفٌ بالعدْلِ وَالإحسان قالَ لهَا عبدُ المطلب إفعَلي مَابدَالكِ وَلعلكِ تكُونينَ عِندَ اللهِ أوْجَهَ مِني ثمَّ أضَافَ إلى الخمسينَ عَشرَةً فصارَتْ سِتينَ فتقدَّمتْ فاطِمةُ أمُّ عبدِ اللهِ إلى الكعبةِ وَرَفعتْ صوْتهَا وَهيَ تقُولُ يارَبَّ هذَا البيتِ المعظَّمِ وَالحرَمِ المكرَّم أنتَ بما أطلب أعلمَ وَأنتَ معدِنُ الفضلِ يَاذَا العدْل فافعلْ فينَا مَاتريدُهُ فأنت الحاكِمُ العادِلُ فِيما ترَاهُ ثمْ أنشدَتْ وَجعلتْ تقُولُ (شعراً)

يارَبّ سِتينَ وَرَبَّ الأعصُرِ وربَّ منْ حجَّ وربَ المشعَرِ



وَرَبَّ الأحجَار وَرَبَّ المدَرِ وَرَبَّ من طاف وَرَبَّ الحجَرِ
يأتُوكَ شُعثاً مِنْ عميقٍ ضُمر إنَّ بُنَيَّ يا إلهى بصَرِى
فنجِّه مِنْ هَولِ هذا النَّحرِ إنَّكَ رَبِى قادِرٌ مُقتَدِرِ

ثمَّ إنَّ عبدَ المطلبِ قالَ لِصاحِبِ القِداحِ أجِل السهامَ فأجالهَا فخرجَ السهمُ على عَبدِ اللهِ فصرَختْ أمُّهُ وَنادَتْ آه آه وَاولداه وَاحَرَّ كبداهُ يَا عبدَاللهِ فقالَ عَبدُ المطلبِ ألا وإنَّ للاشياء دَليلا وَبرْهاناً وَهذَا الأمرُ قدْ عَظمَ مِنهُ الشّأنُ فطلبَ الوَسيلة وَليسَ لمخلوقٍ فى أمرهِ حيلةٌ وَلاَ أظنُّ أنَّ رَبِى رَاضٍ ثم تقَدّمَ عَبدُ المطَّلبِ وَأضَافَ إلى الإبلِ عشرَةً فصَارَت الإبلُ سَبعينَ وَقالَ إلهى مِنكَ المنعُ وَمنى الزِّيادةُ وَالدّفعُ ثمّ أنشدَ يقُولُ (شِعراً)

يَارَبّ سبعُونَ لهُ قدْ عُقلتْ اليكَ يارَب العلى قدْ قُرِّبتْ
مُسوَّماتٍ كلَّها ما ذُلِّلتْ يَاهلْ ترَى صعُوبتى قدْ سُهِّلتْ

ثمّ ضرَبَ القِداحَ فخرَجَ السهمُ على عَبدِ اللهِ فزَادَ الصياحُ وَضج النّاسُ فقَالَ عبدُ المطلبِ مَابعدَ المنعِ إلاّ العطاءُ وَعلى العبدِ التسليم وَالرضَاء ثمّ أضَافَ إلى الإبلِ عشرَةً فصَارَتْ ثمانينَ وَأنشَدَ وَجعَلَ يقُولُ (شعراً)

يَارُبِّ ثمَانينَ فِدَا الهِلاَلِ اليكَ قرّبتُ جميع مَالِى
بُدْناً سِماناً هُنّ فى الفعَالِ أفدِى بهَا المعقُول فى الحبَالِ

ثمَّ ضربَ القِدَاحَ فخرجَ السهمُ على عبدِ اللهِ فزادَ الضجيجُ وعلا الكلامُ وكثرَ البكاءُ والصياحُ قالَ ثمّ تقدَّمَ أخوه أبو طالبٍ إليهِ وقبَّلهُ مَا بينَ عينيهِ وهو مُضجعٌ على جنبهِ موثوقاً في حبالهِ وبكى وشكى وأنشدَ وجعلَ يقولُ (شعراً)

ألا يَا صاحبَ الحسْنِ الفريدِ   لفخرِكَ تفتخرْ فيكَ الجدُود

فِراقُكَ يا أخي واللهِ عندِي   عظيمٌ مذاقُه مُرٌّ شديدُ

وحقّكَ يا ضيا عيني وبصري   أرى حُزني وبعدي قدْ يزيدُ

تفرَّقنا وكنَّا قدْ جُمعْنا   تُوقرُنا العساكرُ والجنُودُ

فديتُكَ يا أخي بسوادِ عيني   ولا أنظُرْكَ مذبوحاً تمِيدُ

ثمَّ تقدَّمَ أخوهُ العبَّاسُ وقبَّلَ مَا بينَ عينيهِ وبكى وشكى وأنشدَ وجعلَ يقولُ (شعراً)

رُمينا بالفُراقِ ولا شُفينا
وصادَفنا عُيونُ الحاسدِينا

ونارُ الشَّوقِ أطلقْ في فُؤادِي
وماءُ الهجْرِ مُندفقَ علينا

فَوا أسفاً لفُراقِ مُرَّ كاسٍ
وسهمٌ في الحشَا منهُ مكينا

بلا اللهُ الفراقَ بيومِ هجْرٍ   كما بالهجرِ منهُ قدْ رُمينا

وَصارَ كلٌّ وَاحدٍ مِنْ إخوَتهِ يتقدَّمُ وَيقبلُ مَابينَ عينيهِ وَيفعَلُ مِثلَ ذَلكُ قالَ فلمّا علاَ البكاءُ وَالضَّجيج همَّ الناسُ أنْ يُقبلوا على عَبدِ المطَّلب مِثلَ المرَّةِ الأولى قالَ فأخرَجَ عَبدُ المطلب المُدْيَة وَقالَ أقسمُ برَبّ البيتِ المعظَّم وَالحرَمِ المحترَم إن عارَضنى مُعارِض فى وَلدِى لأضرِبنَّ نفسى بهذِه المدية فاتركُونى وَرَبى يفعَلُ بى مَا يَشاءُ وَيحكمُ فىَّ بمَا يُريدُ قالَ فسكتُوا عَنهُ وَلم يجسرُوا بعدَ ذَلكَ عليهِ ثمّ إنّ عبدَ المطلبِ زَادَ الإبلَ عشرَةً فصارَت تِسعين وَبكى وَشكى وَأنشدَ وَجعَلَ يقُولُ (شِعراً)

يا رَبّ تِسعينَ وربّ الجمعِ ... وَرَبّ مَن يرفعُ فوقَ الرّفعِ
نجّى بُنىّ منْ عَظيمِ النَّزْعِ ... إنى لارْجوهُ ليَوْم النَّفعِ
أُفديهِ يا رَبِّ بمالِ الجمعِ ... فارْحمْ خضُوعى وسيلَ الدمعِ

ثمّ ضرَبوا القِدَحَ فخرَجَ السَّهمُ على عبدِ اللهِ قالَ عبدُ اللهِ وهوَ فى وَثاقِهِ يا أبتِ ألاَ تستَحى منَ اللهِ رَبّ هذا البيتِ إلى كم المُرَاوَدَةُ فى المقَال وكمْ تلِحّ عليهِ فى السُّؤال هُوَ أقل وأذَلّ وأمرُ اللهِ أعلاَ وأَجلّ يا أبتِ اترُكْ عنكَ هذا الاعترَاضَ فى أمرٍ قدْ فرَغَ رَبكَ مِنهُ لأنهُ قدْ قسَمَ فى القِدَمِ بمَا قسَمَ فارْضَ يَا أبتِ بمَا قضَى وَحكمَ أما تعلمُ أن العَبدَ ليسَ لهُ أن يَعترِضَ على مَولاهُ فِيما أرَادَهُ وأبرَمَهُ وقضَاهُ فانجِزْ أمرَكَ واوْفِ بنَذرِكَ

واعلمْ أنَّ الامرَ منه وإليهِ قالَ ففاضتْ عِندَ ذلكَ العيونُ وكثُرَ البُكاءُ والشجونُ فقالَ عبدُ المطلبِ يا ولدِى إنَّه مَنْ قرعَ على مولاهُ البابَ ورقَّ فى الخطابِ يُرجى له الجوابُ لانهُ كريمٌ وهابٌ ولعلَّ يا بُنىَّ يأتينا اللهُ بالفرجِ القريبِ ثمَّ أضافَ إلى الابلِ عشرةً فصارتْ مائةً وبكى وتضرَّعَ وأنشأَ يقولُ شعراً

يا ربِّ نوقٍ مائةٌ لم يُقسَمِ أنتَ مَليكى ووليُّ النِّعمِ

يا ربِّ بيتٍ طاهرٍ مُكرمِ نجِّ بُنىَّ سالماً فى مغنمِ

فهُوَ كبدرٍ لاحَ وسطَ الظُلمِ

كما تراهُ لاَ ينالُ الحلُمَ

إنْ كنتَ قدْ قبلتَها فتمِّمْ

حتى أراهُ كالهزبرِ الضَّيغمِ

ثم قالَ عبدُ المطلبِ لصاحبِ القِداحِ اجلِ السِّهامَ فأجالها فخرجَ السَّهمُ على الابلِ فضحكتْ قريشٌ منْ كلِّ مكانٍ ومنْ حضرَ منَ السَّاداتِ الكرامِ قالوا يا عبدَ المطَّلب قدِ انتهى الامرُ ورضىَ الربُّ وتبادرتْ ساداتُ قريشٍ وبنى عبدِ منافٍ إلى عبدِ اللهِ ليحلُّوا وثاقَهُ فقالَ عبدُ المطلبِ على رِسلكمْ فانَّ السِّهامَ تخطِى وتُصيبُ وقدْ خرجَ السهمُ على

عبدِ اللهِ تِسعَ مرّاتٍ مُتواليَاتٍ وهذهِ مرّةٌ واحدَةٌ ولا بُدَّ أنْ أسألُ ربّى المرّةَ بعدَ المرّةِ فانّهُ لا يُوثَقُ بهذهِ الواحدَةِ فقالوا افعلْ ما بَدالكَ قالَ فلمّا همَّ بضَربِ القِداحِ وإذا بهاتفٍ يهتِفُ منْ جَوفِ الكعبَةِ وهوَ يقولُ قُبِلَ الفِداءُ ونَفذَ القضَاءُ وآنَ أوانُ ظُهورِ المصطفى فلمّا سَمِعوا ذلكَ أقبَلوا على عبدِ المُطلبِ وَقالوا بَخٍ بَخٍ مَنْ مِثلُكَ يا سَيِّدَ الحرَمِ واللهُ قبِلَ فِدَاكَ وأعانكَ على بَلاكَ ونجَا وَلدُكَ مِنَ الهلاكِ فقالَ يَامعشَرَ قرَيشٍ وسادَاتَ الحرَمِ لا بُدَّ أنْ أعيدَ أمرِى وأسألَ ربِّى فقالوا لقدْ كانَ لكَ فى هذهِ مَقنَعٌ ولكِنْ اصنَعْ ما بدالكَ ثمّ إنَّ عبدَ المُطلبِ قالَ اللهُمَّ يا موْصوفاً بالكرَمِ ويإذا الفَضلِ والنِّعَمِ وخالِقَ النُورِ والظُّلَمِ إنْ كنتَ قدْ تكرَّمتَ على ولدِى بالاطلاقِ ونجّيتَهُ مِنْ ضِيقِ الخنَاقِ فاظهِرْ لنَا بيانَهُ وبَيِّنْ لنَا بُرهَانَهُ لنزدادَ بذلكَ حمداً وَشُكراً يا مَن نِعَمُهُ على العِبادِ تَترَا ثمّ أجالَ السِّهامَ فخَرجَ السّهمُ على الابلِ فارتفَعَ الصِّياحُ ونادُوا اللهُ أكبرُ قُبِلَ فداهُ ورَحِمَ موْلاهُ أباهُ وَسَمِعَ منهُ دُعاه فقالَ عبدُ المُطلبِ وعزّةِ ربِّى لا بُدَّ مِنَ المُعاودةِ هذه المرّةَ لا غيرِها فقالوا له دونَكَ وَما ترِيدُ فتَقدَّمَ عبدُ المُطلبِ وَهوَ يرتعد ورفعَ صوْته وأنشدَ وجعلَ

يقولُ (شِعراً)

يارَبّ قدْ أعطيتَنى منَالى كثُرَتْ بعدَ قِلّتى عِيالى

لقَدْ جَعَلتُ اليَوْمَ جُلَّ مالى

بُدناً فداهُ وهيَ من جِمَالى

بأ كلُها السادَاتُ والموَالى فِدَاءَ هذا الطّاهِرِ المِفضَالِ

ثمّ ضرَبَ القِداحَ فخَرَجَ السّهمُ على الابلِ قالَ فلمْ يُمهلِ السّادَاتُ منْ قرَيشٍ عبدَ المطلبِ حتى أطلقوا عبدَ اللهِ منْ وثاقِهِ وَجعَلَ النّاسُ حولهُ يَبكونَ منْ شِدّةِ الفَرَحِ لسلامتِهِ ثمّ إنّ أمّهُ وأخاهُ أبا طَالبٍ وباقى إخوَتهِ أرَادُوا أنْ يحملوهُ لمنزلهِ فقالَ عبدُ المطّلِب اترُكوهُ ليشهَدَ فَدَاءهُ الذى فداه اللهُ بهِ وأمرَ الرِّجالَ بنَحْرِ الابلِ فنُحِرَتِ المائةُ عنْ آخرِها وقال عبدُ المطلبِ لا تمنَعوا عنها بَعيداً ولا قريباً ولا مُقيماً ولا مُسافِراً ولا طَيراً ولا وَحشاً قالوا ففَعلوا دلكَ وكانتْ وليمةً عامةً قالَ فلمّا أقبَلَ عبدُ المطلِبِ بولدِهِ إلى مَنزلهِ وأخبرَ بذَلكَ الكهَنَةَ صَعُبَ عليهمْ وكبُرَ لديهِمْ فلمّا تأمّلوهُ ونظرُوهُ جالِساً زادَ غيظُهمْ وقالَ بعضهُمْ لبَعضٍ كيفَ الحيلةُ فى هَلاكِهِ قبلَ أنْ يَعلوا أمرهِ فقالَ لهمُ الكاهِنُ دانيالُ وكانَ كبيرَهم نعمَلُ طِعاماً ونسُمّهُ ونُهديهِ إلى عبدِ المطّلبِ ونجعَلُ ذَلكَ إكرَاماً لسلامةِ

عبدِ اللهِ فاذَا أكلوا الطعامَ ماتوا جميعاً ونقطعُ الشجرةَ التى نخشاها من أصلِها فشرعوا فى طعامٍ وسمُّوهُ وأرسلوه معَ نسائهمْ إلى منزلِ فاطمةَ أمّ عبدِ اللهِ فلمّا دخلَ النِّسوةَ بالطعامِ سألهنَّ عبدُ المطلبِ عنهُ فقالَ النِّسوةُ أهدى لكَ هذا دانيالُ الكاهنُ فرحاً بسلامةِ ولدِكَ عبدِ اللهِ فقدّمتهُ فاطمةُ بينَ يدىْ عبدِ المطّلبِ وأولادِهِ ومَنْ حضرَ مِنْ أهلهِ وأقاربهِ فلمّا مدّ القومُ أيديَهُمْ ليأكلوا منهُ أنطقَ اللهُ الطعامَ وقالَ بكلامٍ فصيحٍ لا تأكلونى فأنى مسمومٌ وكانَ ذلكَ منْ جملةِ دلائلِ النّبوّةِ لهُ ﷺ وتأسيساً لها فتأخرَ القومُ عنهُ وقدْ ذهلوا وحمدوا اللهَ على ذلكَ وعلموا أنّ ذلكَ إكراماً وتشريفاً لنورِ نبيهِ محمدٍ ﷺ قالَ فلمّا كبُرَ عبدُ اللهِ وانتشا ومضى لهُ من العمرِ عشرونَ سنةً لقىَ فى زمانهِ مِنَ النساءِ ما لقىَ يوسفُ الصدّيقُ فى زمانهِ ورغبَ فيهِ النِّساءُ وتطاولتْ اليهِ الخطابُ وبذلوا لهُ جزيلَ الأموالِ رغبةً فى النّورِ الذى خصّهُ اللهُ بهِ ولمْ يكنْ نشأ فى الحرمِ أحسنُ ولا أجملُ ولا أبهى مِن عبدِ اللهِ والدِ النبيِّ ﷺ وكانَ إذا مرّ نهاراً انشقَ منهُ روائحَ المسكِ والعنبرِ وإذا مرّ ليلاً أشرقتِ الانوارُ منْ بينَ عينيهِ تسطعُ كالمصباحِ وكانَ يُسميهِ أهلُ مكةَ مصباحَ الحرمِ لكثرةِ نورهِ قالَ ولما تزايدتْ أخبارُ عبدِ اللهِ وتسامعتْ

بهِ القبَـائلُ اجتَـمعتِ الاحبَـارُ مِنَ اليهُـودِ بالشّـام وَتكلمُـوا على
قُرب مَولدِهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسلمْ وَأنهُ ظهرَ أبوهُ عبدُ اللهِ وَأنهَ
سَيكُـونُ على يدَيهِ هَلاكُهُـمْ وَخرَابُ دِيارِ همْ وَسَـبْيُ حَرِيمِـهِمْ
فأقبـَلوا إلى حَبرٍ مِنْ أحبَـارِ همْ عَظيمِ الشأنِ وَكانَ قدْ بَلغَ مِنَ
العُـمرِ مَائتَى سَنَـة وَقالوا لهُ قدْ عَلِـمتَ مَا فِى كتُـبنَـا مِنْ خَبرِ
هَذَا السفـّاكِ الفتـّاكِ وَمَا تلقـَاهُ اليهُـودُ عِنْدَ ظهُـورِهِ مِنَ الرّزِيّـةِ
قدْ قرُبَ زَمانُـهُ وَظهرَتْ أنْـوَارُهُ بمكـّةَ وَجِئْـنَـا اليْكَ لِتنظُـرَ
لنَـا فِى أخمـادِ هذهِ النّارِ قبْـلَ اشتعَـالِهَـا لانّ بدْءَهـا يَسيرٌ فإذَا
تكامَلتِ التهَـبَ فِعلـُهَـا كثِـيراً فقـَالَ يَاقوْمِ أنتمْ تعلمُـونَ أنّ مَنْ
أرَادَ إبطالَ مَاقدْ أبْرَمهُ اللهُ وَمنَـعَ ماقدّرَهُ كانَ جَاهِلاً وَإنّ هذَا
الأمرَ قدْ سَبقَ مِنَ اللهِ وَإنهُ كائنٌ لامحالةَ فكيْـفَ تطلبُـونَ دَفعَ
مَاقدّرَهُ الله وَأرَادَهُ أما هُوَ لابُـدّ أنْ يَكـُونَ وَيظهَـرَ وَيُرفعَ
وَيُنصرَ وَهُـوَ سَيُـبدِى العجَـائبَ وَيَمْـلأُ المشَـارقَ وَالمغَـارِبَ
وَصارَ يقـُولُ لهمْ فى أوْصافِهِ فلمّـا سَمعُـوا ذَالكَ حارُوا وَدَهِشُـوا
وَاجتمعُـواوَتشَـاوَرُوا وَقالوا هذَا خَرُف وَزَالَ عقـلهُ وَخمدَ لبُّـهُ
وَكانَ فِيهمْ حَبرٌ يُقالُ لهُ هَيُـو باقالَ لهمْ لاتسمعُـوا كلامَ شيخِكمْ
هذَا لأنّ عَقلهُ قدْ زَالَ وَفكـْرَهُ قدْ مالَ أرَأيتمْ أنْ قطعتمُ الشّجرَةَ
مِنْ أصلهَـا هَلْ تعُـودُ وَترْجعُ كهيئَـتهَـا وَتظهرُ مِنها ثمرَةٌ قالوا لا

فقَالَ الذي نخافُهُ ونكرَهُهُ هاهُوَ أمامَكُمْ وَهوَ عبدُ اللهِ بنُ عَبدِ المطلبِ وَهوَ بالحرَمِ فاقطعُوا الشّجرَةَ مِنْ أصلهَا ترْتاحُوا مِنْ ثمرِّها فقَالوا كيفَ العمَلُ فى ذَلِكَ قالَ جهِّزُوا لكمْ تجَارَةً وَادخُلوا مكّةَ وَارصُدُوهُ حَتى تملِكُوهُ فلمّا سمعُوا كلامَهُ أجابُوهُ وَاستصوَبُوا رَأيهُ وَقالوا أنتَ سَيِّدُنا وَحبرُنا وَما مِنّا أحدٌ يخالِفُكَ وَلا نخرُجُ عنْ قوْلِكَ قال فتجهزُوا وَخرَجوا وَخرَجَ مَعهمْ حبرُهمْ هيُوبا فمازَالوا سائِرينَ حتى مَرُّوا على بَيتِ المقدِسِ فهتفَ بهِمْ هاتِفٌ يقولُ وَلا يرَوْنَ شخصَهُ

أتيتُمْ ترُومُونَ الغدْرَ فى السرِّ وَالجهْرِ
تُرِيدُونَ إخمَادَ المطهّرِ ذِى الفخْرِ

فمنْ عانَدَ الرّحمن لا شكّ هاوِياً
يُبشّرُ بالخذْلانِ وَالذّلِّ وَالقهرِ

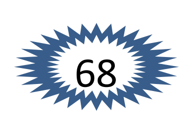
أرَدتمْ رَسُولَ اللهِ يُطفؤُ نورُهُ
وَترمونهُ بالشرِّ وَالمكرِ وَالغدْرِ

فأنْ أطعتمُونى ترْجعُونَ فأنكمْ
كجُزُرٍ سيقتْ للذّبائحِ وَالنحرِ

فلمّا سمعتِ اليهُودُ مقالةَ الهاتِفِ وَقفُوا عنِ المسيرِ وَأرادُوا الرّجعةَ فقالَ لهمْ حبرُهمْ هيُوبا لا تلتفتُوا إلى ذلِكَ أما تعلمُون أنّ القومَ مَعدِنُ السّحرِ وَالكهانةِ يتوَارثُونَ ذَلكَ جيلاً بعدَ جيلٍ قالَ فصغَى القوْمُ لِكلامِهِ وَسارُوا يجدُّونَ السيرَ حتى وَصلوا إلى مَكةَ فأقامُوا بهَا مُدّةَ أيامٍ يبيعُونَ فى تجارَتِهمْ وَيترصدُونَ عبدَ اللهِ

وَكَانَ إذا مرَّ عليهِم ينظرُونَ اليهِ كثيراً ويقُولونَ وَحقّ الكلِيم هذَا هوَ الشَّجرَةَ وَالفرعُ الذى فِيهِ الثَّمرَةَ الذِى هَلاككُمْ على يدَيهِ وَكَانَ أهلُ مكّة كلٌّ منهُم يخرُجُ على صَيدِه وَقنصِه طالباً لرزقهِ وَكَانَ عبدُالمطَّلبِ يخرُج للصَّيدِ وَالقنَص وَيأخذُ معهُ عبدَالله وَالدَ رَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وَسلم وَرُبّما خرَجَ عبدُاللهِ وَحدَهُ فعلمتْ بذَلِكَ اليهُودُ لأنهمْ كانُوا لا يَغفَلون عنهُ وَيترَصدُونَ لهُ المكارِه فقال لهمْ هيوبَا اعلمُوا أنكمْ قدْ وَصلتمْ إلى مُرادِكمْ فدُونكمْ وَإياهُ قبلَ أنْ يُفلتَ من أيدِيكمْ واخرجُوا بأبَاعِركمْ كالرّعاءِ وَاكتمُوا أمرَكمْ فلمّا سَمعُوا كلامَهُ قالوا نحن لكَ مُطيعُون وَبين يدَيكَ سَامِعُون وَلأمرِكَ فاعِلون فبعَثَ هيُوبَا عبدَهُ خلفَ عبدِالله وَقالَ لهُ انطلقْ خلفَ هذَا الغُلام وَاقتَفِ اثرَهُ وَانظرهُ على أيّ ناحِيةٍ يكونُ فمرَّ العبدُ وَغابَ سَاعةً ثمَّ عادَ إلى أصحَابهِ وَأخبرَهمْ بهِ وَأنهُ بعُدَ عن العُمرَانِ وَليس معه إنسانٌ فقالوا لهُ سَعدْتَ ثمْ إنه قسمَ العبيدَ قِسمين فترَكَ شطرَهمْ عِندَ رِحالهمْ وَجعلَ الشطرَ الآخرَ لِلمطايَا وقالَ اسرَحُوا كأنكمْ ترِيدُونَ بها الرّعاءَ وَكانَ عبدُاللهِ لاحَ لهُ وَحشٌ فقصَدَهُ وَرَماه بنبلةٍ فصرَعهُ وَنزلَ عنْ جوَادِهِ وَنحرَهُ فبينَماهوَ كذَلكَ إذْ أشرَفَ عليهِ اليهُودُ وَأخذُوا عليهِ الطرِيقَ فقالَ لهمْ هيُوبا يا قوم هذا غرِيمكمْ وَحقّ الكلِيم وَنخشى أن يرَاكمْ فيركبَ

جواده ويطلق العنان فيفوتكم المراد قالوا وما الرأى قال تفرقوا وخذوا عليه المضايق ألا تجدوه مهرباً قالوا الرأى ما تقول ثم جعل مع قسم أخاه سويدة وقال له انطلق أمامك وإياك أن يخلص من يديك ومال هيوبا بالشطر الآخر فلما رآهم عبد الله حزم وسطه وأخذ قوسه وفرق سهمه واليهود متلثمين لم ير منهم إلا العيون فلما رأى عبد الله منهم الغدر أنذرهم بالبعد عنه فلم يبعدوا فقال لهم إنى أنذرت وأعذرت ثم رماهم بالنبال وهو يقول أنا ابن شيبة الحمد أنا ابن سيد الحرم فقتل خمسة منهم فصاح هيوبا يافتى امسك عن نبالك فقد أسرفت فى فعالك وقتلت رجالنا من غير جناية سبقت منا فقال لهم أنتم إلى شار تعدون وإلى هلاكى تطلبون فما أنتم لا أم لكم قال هيوبا نحن قوم تجار ونحن من الأحبار جالبين المتاع إليكم وإنه قد هرب منا عبد وقد خرجنا فى طلبه فظنناك عبدنا والآن ليس لنا عليك مطالبة بما كان منك وأنت أعز الناس علينا وأحبهم إلينا فقال لهم عبد الله الويل لكم فما الذى رأيتم فى من شيم العبيد فما لكم لا تخبرونى يا ويلكم عبدكم فارس أو راجل قالوا بل راجل فقال عبدكم يقنص الوحوش والظبا قالوا لا قال عبدكم له أنوار وضياء قالوا لا والله إنما خامرنا الشك فيك فاسمح لنا



بمـا كانَ منا فإنا سمحنـاك فيما هو أعظمُ مِن ذلكَ فلا تكون لهُ بمـا قتلتـهُ فامضِ يا سيـداهُ مكرماً حيثُ شئتَ فلما سمعَ دنهم ظنَّ أنه حقٌ فانصرفَ إلى مكانِه وركبَ جوادَهُ وتركَ صيدَهُ حذراً منَ الغفلةِ وقبضَ على قوسهِ ونبلهِ وجعلَ يقولُ (شعراً)

وَلِي هِمَّةٌ تعلوا على كلِّ هِمَّةٍ
وقلبٌ صبورٌ لا يملُّ منَ الحربِ

ولي نبلةٌ أرمي بها كلَّ ضيغمٍ
وتخرقُ في اللبّاتِ أيضاً وفي القلبِ

ولمَّا رأيتُ القومَ قد جدَّ سيرُهم
إلا وكلٌّ طالبٌ يبتغي قربي

نثرتُ نبالاً ثمَّ أرسلتُ بعضُهـا
كمثلِ لميعِ البرقِ مِن خلالِ السُّحبِ

فخمسةٌ منها قد أبادت خمسةٍ
ولو ظافروني قلتُ بالظفرِ والضربِ

قالَ فزادهم ذلكَ غيظاً وتبادروا اليهِ بالسيوفِ وضربوه بالحجارةِ وهيُّوبا اليهوديُّ يقولُ ظننتَ يا ابنَ عبدَ المطلبِ أنكَ ناجٍ مِن أيدينـا ونحنُ لكَ في أشدِّ الطلبِ وسوفَ نوردُكَ مورِدَ العطبِ ثمَّ تصارخوا عليهِ من كلِّ مكانٍ قالَ فرمى عبدٌ مِن

نبلةً فأصابت جوادَ عبدِ الله فوقعَ مِنْ تحتِهِ ميتاً فوثبَ
... الله والتجأ إلى مضيقِ الشِّعْبِ وجعلَ يرمى عَنْ يمينِهِ وشمالِهِ
وهيُوبا يُحرِّضُ صحبه ويقولُ ياويلكمْ إنما هُوَ رجلٌ واحدٌ أما
تخشونَ العارَ فنفِدتْ نِبالُ عبدِ اللهِ فتكاثرُوا عليهِ نصارَى يرْميهم
بالأحجارِ فما يُخطىءُ حجرُهُ ويهشمُ بهِ مَنْ أصابهُ قالَ فبينما عبدُ اللهِ
فى أشدِّ القتالِ وإذا بفرْسانِ بنى هاشمٍ وبنى عبدِ منَافٍ وفى
أوائِلهِمْ أبو طالبٍ وإخوتُهُ وأخُوه العبَّاسُ وحمزةُ رضىَ اللهُ عنهما
وجميعُ أعمامِ النبىِّ صلى الله عليهِ وسلم وعبدُ المطلبِ فى أثرِهمْ وهوَ
يُنادِى ياولداه وكانَ السببُ فى مجيئهمْ أنَّ وهبَ ابْنَ عبدِ منَافٍ
أبا آمنةَ أمِّ النبىِّ صلى الله عليهِ وسلم كانَ فى القنصِ فرأى القوْمَ مُحدقينَ
بعبدِ اللهِ فأرادَ وهبٌ نُصرتهُ فخشىَ على نفسهِ مِنْ كثرتِهمْ وعلم
أنه لا يقدرُ عليهمْ فأطلقَ جوادَهُ حتى وصلَ إلى الحرَمِ فاستصْرخَ
القَوْمَ فلمّا رأى اليهُودُ القوْمَ آيسُوا منَ الحياةِ وأرادُوا الخديعةَ
فقالَ عبدُ المطلبِ هيهَاتَ هيهَاتَ وحملَ عليهِمْ وحملَ القوْمُ معهُ
فأبادُوهمْ عنْ آخرِهمِ فلمّا تخلَّصَ عبدُ اللهِ أقبلَ اليهِ أبُوه
عبدُ المطلبِ وقبّلَ ما بينَ عينيهِ وقالَ ياولدِى إنَّ لوهبٍ علينا يداً
لا نقدِرُ نجازِيهِ عليهَا أبداً إذْ سبقَ الينَا بخَبرِكَ وأقبَلوا إلى مكةَ
وأقبلَ وهب على زوْجتهُ برّةَ وقال لها ويحكِ لقدْ رأيتُ اليوْمَ

عجباً لهذا الغلامِ عبدِ اللهِ واللهِ إنَّ لهُ شأناً عظيماً ولا بدَّ أنْ يكونَ لهُ وقتٌ وأوانٌ وكفاكِ أنهُ بلى القومَ وقاتلهُم بنفسِهِ وقتلَ منهم مقتلةً عظيمةً وحسبُكِ هذا الحسن والجمالُ أنْ يكونَ معهُ شجاعةٌ وأعظمُ ما يكونُ أنهُ لمْ تخطِ لهُ نبلةٌ خرجتْ مِنْ قوسهِ قطُّ ورأيت له أنواراً بلغتْ سائرَ الأقطارِ فهلْ لكِ أنْ تعرضى عليهِ إبنتكِ آمنةَ عساهُ أنْ يرغبَ فيها فقالتْ لهُ واللهِ إنَّ نساءَ مكةَ الخيّراتِ الجميلاتِ قدْ خطبنَهُ لأنفسهنَّ فأبى عبد المطلبِ ذلكَ وكانتهُ الملوكُ على بناتِهم فأبى فكيفَ أذكرُ لهُ إبنتكَ وهىَ قليلةُ المالِ فقالَ وهبٌ إنه كانَ منى اليومَ يدٌ بيضاءُ وكانتْ نجاتهُ على يدىَّ وأنا أرجو أنْ يرغبوا فيها فقالتْ لعلَّ وعسى وكيفَ لنا بذلكَ ثمَّ أفرغتْ عليها ثيابها الفاخرةَ وخرجتْ مُسرعةً إلى عبدِ المطلبِ وعندهُ جميعُ أولادهِ وهمْ يتحدَّثونَ فيما وقعَ وما رُزقوا مِنَ النصرِ ونجاةِ عبدِ اللهِ إذْ دخلتْ عليهمْ فقالتْ أنعمَ اللهُ عليكمُ المساءَ وأدامَ لكمْ البقاءَ ووُقيتمْ غلبةَ الأعداءِ وكفيتمْ سوءَ القضاءِ فأجابها عبدُ المطلبِ وأنتِ وُقيتِ الأذى وكفيتِ الرَّدى فى الصَّباحِ والمساءِ ولقدْ صنعَ اليومَ معنا بعلكِ صنيعاً لا نقدرُ نكافئهُ عليهِ لأنهُ أنذرنا بما أصابنا مِنَ اللئامِ الفجَّارِ فعندَ ذلكَ وجدتْ إلى الكلامِ سبيلاً فقالتْ إنهُ يطلبُ



مِنكَ تعجيلُ المسرَّةِ فظنّ عبدُ المطلب أنهـا تطلبُ شيئاً مِنَ المتَاعِ وَالمالِ الذى غنمُوهُ مِنَ اليهُود فقالَ لهَا لكِ وَلهُ الإكرَامُ وَالإنعامُ فقالتْ بَرَّةُ عِندَ ذلكَ ياأبا عَبدِ اللهِ إننَا قدْ عَلمنَا أنّ الملوكَ وَالعشائِرَ وَاهلَ الأمصَار وكلّ فتَاةٍ مِنَ الحرَمِ خطبُوا وَلدَكَ عبدَالله لأنفسهم وَقدْ رَغبَ الناسُ فى قُرْبهِ وَقدْ طمِعنَا فِيما طَمعَ الناسُ فِيهِ وَرَجوْنا مِنكَ مارَجاه غيرُنا بأنْ نفُوزَ بوَلدِكَ لإبنتنَا وَقدْ جِئنَا لكَ خطاباً لأنفسِنَا فهَلْ تقبَلُ هَدِيتنَا وَتجيبنَا إلى مَسئلتِنَا فلمّا سَمعَ عَبدُ المطلب مَقالتهَا نظرَ إلى وَلدِهِ عَبدِ اللهِ وَقدِ احمرَّت وجنتَاهُ وَلمعَ النُّورُ مِنْ غُرَّتِهِ حتى أنارَ ماحَوْلهُ وَأطرَقَ رَأسهُ إلى الأرْضِ حياءً مِنْ أبيهِ وَكانَ إذا عرَضَ عليهِ التزْويجَ يُظهِرُ الإمتنَاعَ وَرُبما وَلى هَارِباً فلمّا نظرَ عبدُ المطلبِ اليهِ عَلمَ أنهُ رَضِىَ بهَافقَالَ لهُ يابنىّ مَاتقولُ فوَاللهِ ما أرْضى بفتَاةٍ مِنْ مَكةَ غيرهَا فأنهَا طَاهِرَةٌ مُطهّرَةٌ مِنْ أهلِ بيتِ العفَافِ وَالصّيانةِ وَالكفَاف وَمعَ ذلِكَ قدْ حوَت صِيانةً وَملاحةً وَعقلا وَدلاً لاً فسكتَ عبدُ اللهِ وَلمْ يَرُدَّ جوَاباً وَعلمَ أبوهُ انّ قلبهُ مالَ اليهَا فاقبلَ عبدُ المطلبِ إلى بَرّة وَقالَ لها قدْ أجبتَاكِ لمسئلتكِ وَأعطينَاكِ مَاطَلبتِ وَرَضينَا بأبنتكَ آمنة لوَلدِنا عبدِالله وَقالتْ فاطِمة أمُّ عبدِ اللهِ كذلكَ فلمَّا

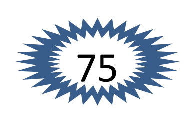
سمعت بَرَّة من عبد المطلب وزوجته ذلك خرجت من عندهم مسرورة تتعثر في أذيالها من شدة فرحها فلما أتت إلى بعلها وهب أخبرته بذلك وأنها سمعت في طريقها وهي راجعة هاتفاً يقول لها (شعراً)

بخٍ بخٍ من معشرٍ قد ظهرا
محمدٌ المبعوثُ من أمِّ القرى
قد شرف الله بها من حولها
من بنتكم آمنةٍ خيرُ الورى
وخيرةُ اللهِ ومن قد عصما
فازت بهِ وسعدُها قد أزهرا
طُوبى لكم من معشرٍ قد شُرِّفتمُوا
بسيِّدٍ مُكرَّمٍ قد ظهرا

قالَ فاستهلَّ وجهُ وهب من كلامها وما أوردت عليه من خطابها وقال يابرَّة اظهري لها زينتها وقلديها بقلائدها وافرغي عليها مفاخر ثيابها وعطريها وانظمي ذوائبها ففعلت ذلك وقالت لها يابنتي إذا جاءت فاطمةُ أمُّ عبدِ اللهِ فخاطبيها بخطابِ البشاشةِ وطلاقةِ الوجهِ وتبسّمي في وجهها وإياكِ أن تعرضي بوجهكِ عنها وارغبي في هذا الفخرِ العظيم قال فبينما هي تخاطبها إذ قرع

البَابُ فخرجَ وَهبٌ وَفتحَ البَابَ فظهرَ عندَ ذلِكَ نورٌ مَلأَ الدَّارَ وَإذا هوَ مِنْ غُرّةِ عبدِ اللهِ وَدخلَ هوَ وَأبوهُ عبدُ المطلب وفاطِمةُ فقط وَلا رابعَ فدخلَ أمامَهُمْ وَهوَ لا يصدّق بذلِكَ وَأجلسهُمْ وَجلسَ بينَ أيديهمْ وَقامتْ أمُّ عبدِ اللهِ لناحيةِ آمِنةَ فقامَتْ معهَا بَرَّةُ وَقلبُهَا يخفقُ خوفاً وَخشيةً أن لا ترْضاهَا لوَلدِها وَقدْ كسى اللهُ آمِنةَ حُسناً وَجمالاً وَبهاءً وكمالاً وَنُوراً أشرَقتْ مِنهُ الدّارُ كما سَبقَ فى علمهِ منْ إظهارِ محمدٍ صلى اللهُ عليهِ وَسلم فلمّا دخلتْ فاطِمةُ أمُّ عبدِ اللهِ عليهَا وَجدَتِ البيتَ قدْ مُلِىءَ منْ نورِهَا فكلمتهَا فضحِكتْ آمِنةُ فى وجههَا فظهرَ منْ ثناياهَا نورٌ كالبرقِ فلما نظرَتها فاطمةُ حارتْ وَذهِلتْ وقالتْ لأمهَا منْ أيْن لإبنتكِ هذا الجمَال وَهذا النورُ الذِى قدْ أخذ بالأبصَارِ فقالتْ بَرّةَ واللهِ ماعرَفتهُ فيهَا إلاّ فى وقتنا هَذا ولعلّ هَذا ببركتِكُم ثمّ خاطبتهَا فكلمتهَا بكلامٍ حسنٍ ليّنٍ فخرجتْ أمُّ عبدِ اللهِ إلى عبدِ المطلبِ فرِحةً وأخبرتهُ بذلك وَقالتْ لهُ أنجزِ الأمرَ فواللهِ مارأيتُ فتاةً فى مكةَ مِثلهَا وَلا حُسنهَا وَكانَ ذلكَ فضلاً وإكراماً لِسيّدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ وِتكُونُ وعاءً طاهِراً لنُورهِ الشَّرِيفِ وَالنبىّ العفيف ثمّ إنَّ عبدَ المطلب قالَ ياوَهب موْعِدُنا غداً الأبطحُ ليكُونَ ذلكَ أكابر الحرَمِ ثمّ أرْسلَ عبدُ المطلب إلى أهلهِ وَعشيرَته وأمرَهُمْ

بالزّينةِ وَالخرُوج إلى الأبطحِ وَقدْ تزَينـُوا بأفخرِ ملاَ بسهمْ وَألبسَ عبدُ المطلب وَلدهُ عبدَ اللهِ ما كانَ عِندَهُ منْ مَلابسِ الأنبيـاءِ وزَينه بأعظمِ زِينَـةٍ وَاحتفلَ النـاس بالأبطـح وكلٌّ يحسُـدُ وهْبا عَلى ماخَص اللهُ إبنَتـهُ منْ زوَاجها بعبدِاللهِ وَاجتمعَ النـّاسُ وَاختلفتِ الألسنَـةُ ما بَينَ تصدِيقٍ وَتكذِيبٍ وإذْ قدْ أقبلَ عبدُالمطلب وَوَلدُهُ عبدُ اللهِ وإخوَته وَقبيلتُـهُ وَقدغمـرَ الأبطحَ نُـورُ رَسُـولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم مِنْ وَجهِ عبدِ اللهِ فلمَّـا قدِمُـوا قامَ النـّاسُ لهمْ وَأجلسُـوهمْ فى صدْرِ المجاسِ فتطاوَلتِ النـّاسُ لهمْ بالأعنَـاقِ فلمـّا هدَأتِ الأصوَاتُ أمرَ عبدُ المطلبِ وَلدَهُ أبا طالِبٍ أنْ يكـُونَ هوَ الخاطِبَ فوَثبَ أبو طالِبٍ قائماً على قدَميْـهِ : فقالَ الحمدُ للهِ الذى جَعلنَـا لِبيتِـهِ جِيرَاناولحرَمهِ سُكانا ألقـى مُحبتنَـا فى قُلوبِ عبادِهِ وَشرفنا وعَصمنَـا فى سَائرِ بلادهِ وأعاذَنامنَ الحرَام وَجنبنَـا الآثام وأحلَّ لنَـا الحلالَ وأمرَنا بالإفضَـال وَجعلنَـا فِرقاً يتقـاربُـونَ وَأزوَاجاً يتنَـاكحُـون.(أما بعدُ) فأن فتـانا الذى تعرفُـونه وَسيـِّدَنا الذى تَصِفـُونه وهوَ عبدُاللهِ ابْنُ عبدِالمطلبِ قدْ جاءَ خاطِباً وَفى فتاتِكمْ رَاغباً لِتكـُونَ لهُ أهلاً ويكـُونَ لها بَعلاً . قالَ وَهبٌ قدْ قبلنَـاهُ وأهدَينَـاها لهُ مِنْ غيرِ صدَاقٍ وَإنى رَاغبٌ فِيكمْ وَلكمُ اليدُ البيضاءُ عليَّ بذَلكَ فقـالَ أبوطَالِبٍ هذَا لاَ نفعلهُ وَلاَ نستحسنهُ



فقـال وهب ما أقبضه فهو مردود عليكم وعلى فتاتكم ثم قام وهب وعانق عبد الله وصافحه . قال فلما تم الزواج حسد آمنة كل فتاة بمكة وقد مرضت نسوة كثيرة حسرة لما فاتهن من عبد الله والنور الذي في وجهه لم ينتقل حتى أراد الله أن يظهر خيرته من خلقه وصفوته من عباده وأن يطهر الأرض من الأدناس ويصفيها من الارجاس وينور ها من ظلام هاويذهب عنها فحشها وآثامها فأمر الله جبريل عليه السلام أن يخبر أهل السموات والارض بشأنه ويبشرهم بمولده فنادى جبريل في السموات وعند سدرة المنتهى وعند جنة المأوى ألا وإن الله قد نفذ حكمه وتمت مشيئته وأن أوان وعده باظهار البشير النذير والسراج المنير الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر صاحب الامانة والصيانة وهو نور الله الساطع وضياؤه اللامع وبركته في بلاده ورحمته على عباده يختم الله به النبيين ويشد به قواعد الدين وقد آن أوان خروجه من ظهر أبيه وهو الذي عرض عليه قبل خلق آدم المسمى أحمد وطه ويس والمزمل والمدثر فضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير لله رب العالمين وفتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النيران وتمايلت أشجار الجنة وأزهرت بالنبات وتعطرت الحور العين

بروائحَ زكياتٍ وتزيَّنت الحورُ والولدانُ وغنَّتِ الأطيارُ على الأغصانِ في عرصاتِ الجنانِ مُوحِّدةً بتقديرِ الملكِ الديَّان وضجَّتِ الملائكةُ إلى اللهِ تعالى بالاستبشارِ بمحمدٍ سيِّدِ ولدِ عدنان وهربتِ الشياطينُ وولّوا هاربينَ مُنهزمينَ ثمَّ إنَّ عبدَ اللهِ خرجَ معَ أبيهِ عبدِ المطَّلبِ ليلةً منَ الليالي وكانتْ ليلةَ جمعةٍ ثامنَ عشرٍ من جمادى الأخرى فسارا حتى وصلا إلى عرفات وتأخَّرَ عبدُ اللهِ عنْ أبيهِ لقضاءَ حاجةٍ وإذا بنهرِ ماءٍ يجري أبيضَ منَ اللبنِ وأحلى منَ العسلِ وأبردَ منَ الثلجِ وإذا بهاتفٍ يهتفُ يسمعُ صوتَهُ ولا يُرى شخصُهُ يقولُ . يا عبدَ اللهِ اشربْ منْ هذا الماءِ واغتسل منْ هذا النَّهرِ وواقع زوجتكَ يأتيكَ سيِّدُ الأوَّلينَ والإخرينَ قالَ فاغتسلَ وتطهَّرَ وشربَ فلمَّا فرغَ غارَ الماءُ وعادتِ الأرضُ يابسةً كما كانتْ وأسرعَ عبدُ الله إلى منزلهِ فنادتهُ الأرضُ يا عبدَ اللهِ آنَ أوانُ ظهورِ سيِّدِ ولدِ عدنانَ وتطاولتْ إليهِ الجبالُ ونارتِ الأقطارُ والأرضُ قدِ اخضرَّت وأينعتْ ثمارُ الاشجارِ والاوديةُ قدْ أعشبتْ وكانتِ الدُّنيا كالعروسِ المزفوفِ وخاطبتهُ الاحجارُ والاشجارُ وقالتْ لهُ أيُّها العبدُ الكريمُ سرْ إلى زوجتكَ منْ وقتكَ وساعتكَ فأسرعَ عبدُ اللهِ مُقبلا إلى زوجتهِ آمنةَ فعارضتهُ امرأةٌ يُقالُ لها

قُتَيلةُ الخثعميةُ أختُ ورقةَ بنِ نوفلٍ وقالتْ له يا عبدَ الله كلِّمنى فقالَ لها وماحاجتكِ فقالتْ تأخُذُ منى مائةَ رأسٍ منَ الإبلِ وعشرة منَ الخيلِ ومثلها منَ الجوارِ الحسانِ لابسَاتِ الحُلىَّ والحللِ منَ الذَّهبِ والفِضَّةِ وَوَاقِعنى وكانتْ قرأتْ فى الكُتب بأنَّ اليومَ يحملُ بمحمدٍ ثمَّ كشفتْ عنْ وجهها فأجابها بقولهِ شعراً :

أمَّا الحرامُ فالممَاتُ دُونَه — والحلُّ لا حِل فاستبينَهُ
فكيفَ بالأمرِ الذى تبغينَهُ — يحمى الكريمُ عِرضهُ ودِينَهُ

ثم قالَ لها أمهليني حتى أمضىَ إلى منزلى أصلحُ بعضَ شأنى ثمَّ آتى إليكِ فأقبلَ عبدُ اللهِ حتى أتى آمنةَ فقالَ لها تطهَّرى وتطيَّبى فقدْ آنَ أنْ أودِعكِ وديعةَ الجبَّارِ التى أودَعها لأنبيائِه ورُسُلهِ وأحبابهِ فشمَّتْ منه روائحَ المسكِ فقامتْ وتطهَّرتْ وتطيَّبتْ ثمَّ أتتْ فِراشها وهى لا تُصدِّق بذلكَ من شدةِ الفرحِ فواقعها فحملتْ منْ وقتِها بسيِّدِ الانام ورسولِ الملكِ العلاَّم قالَ وأصبحَ عبدُ اللهِ وقدْ فقدَ النورُ منْ وجهِهِ وانتقلَ إلى آمنه فزادتْ بذلكَ حُسناً وجمالا وبهاءً وكمالا ثمَّ إنَّ عبدَ اللهِ مرَّ على قُتَيلهَ الخثعميةِ فلمَّا رأتهُ قالتْ لهُ وأينَ النُّورُ الذى كانَ بينَ عينيكَ فقالَ لها واقعتُ زوجَتى آمنةَ فى هذهِ الساعةِ فقالتْ له ارجعْ

فلاَ حاجةَ لى بكَ بعدَ نورِ محمدٍ (ص) وإنما كنتُ أرْغبُ فيهِ

وقدْ قالَ بعضُهُمْ فى المعْنى شِعراً:

ما زَالَ نورُ المصطفى يتَنقَّلُ ... وَمنْ شريفٍ لشَريفٍ يُحمَلُ

لمْ يَنتقِلْ يَوْماً على سِفَاحِ ... إلا على الطهرِ منَ النِّكاحِ

حتى إذا صَارَ لعَبدِ اللهِ ... تكَامَلَ النُّورُ بعوْنِ اللهِ

وكانَ ذَا حُسنٍ وذَا جمالِ ... ولم يكُنْ إلى الخنَا ميَّالِ

وكانَ فى النسوَةِ مَنْ تراودُهُ ... عنْ نفسِهَا ولم تزَلْ تُوَاعدُه

وكنَّ يقعُدْنَ على الطَّريقِ ... يُظهِرْنَ للزينَةِ بالتَّحقيقِ

حتى إذَا مرَّ أبو النَّبى ... محمدِ الهادِى التَّقىِّ الوَفىِّ

دَعوْتَهُ إلى السِّفاحِ كلُّهُن ... مُفْضيَةً غيَاهِباً حديثهن

فانفرَدَتْ منْ بينِهِمْ كاِلْيله ... منَ النِّسَا بهيَّةٌ جميله

سَاحِرَةٌ ملعونةٌ لعِينَةُ ... كاهِنَةٌ كانَ اسمُهَا قتَيلةُ

قَدٌّ لهَا قُدَّ بجِسمٍ ذَابلِ ... قدْ لبِسَتْ رَقائِقَ الغلائلِ

كثيرَةُ الاموَالِ والضياعِ ... والنَّخل والإبلِ مَعَ المتَاعِ

وضمَّخَتْ شعراً لها بالعِنْبرِ ... ثمَّ تحلتْ بنَفيسِ الجوهرِ

وجلسَتْ على الطريقِ ترْصدُهُ ... تُريدُ أن تُغويَهُ وتفسدَه

حتى إذا مرَّ فقالتْ سَيِّدِى ... مَن حبُّه عقلى ودِينى مذْهبى

قالتْ لهُ منى إليكَ حاجهْ ... قالَ لها قُولى بلاَ لجاجَهْ

وَاسرعى بالقوْلِ لا تُطوِّلى إنى أريدُ الآن قصد مَنزِلِى

قالتْ لهُ هلْ لكَ فى الاموَالِ منْ مائةٍ من أجوَدِ الجمال

وبعدَهمْ عشرٌ منَ الخيول مُسوَّماتٌ خِلقةُ الجليلِ

وبعدَها عشرٌ منَ الجوَارِ من المِلاَحِ النُّهَّدِ الابكارِ

ومائة منَ الحوَارِ السُّودِ ومِثلهَا منْ أفخر العَبيدِ

ومِن ثِيابِ الخزِّ والدِّيباجِ مرْقومةً بالذَّهبِ الوَهَّاجِ

وكشَفتْ عنْ وجهها بلاَ زَعم مالَ اليهَا قلبهَا ثمَّ ابتسَمْ

قالَ لها أبو البىّ لا تعجلى إنى أُريدُ الآن قصدَ منْزلى

وبى شعَثٌ أريدُ أغسِلهُ أو دَرَنٌ عنْ جسَدِى أقتُلهُ

ثمَّ توَلى مُسرعا لدَارهِ وصارَ فى المنزلِ معَ عَقَارهِ

وآمِنه قدْ طهُرَتْ منْ حِضهَا وحُسنُها يَزْهو على بيَاضِها

قالتْ لهُ رأيتُ فى منَامى قدْ شاعَ ذِكرى وَانتشرَ أعلامى

وَقدْ أرَى مِنْفوْقِ رَأسى شجرَهْ

عاليَةً أغصَانُها مُنتشرَهْ

كبيرَةً فى طوِلهَا وَالعَرْضِ قدْ ظلَّلتْ جميعَ مافى الارْض

الاصلُ مِنها غاصَ مِنْ تحتِ الثرَى

وَفرْعُها قدْ طالَ للسَّما يُرَى

فَبينمَا أنظُرُ لِتلكَ الشَّجرَهْ

إذْ سَقطَتْ فى وَسطِ حجرى ثمرَهْ

شبَّهتُهَا فى زَيِّهَا بالدُّرّ

أوْ كوْكبٍ فى جُنحِ ليلٍ يسْرِى

وَلمْ تُطاوِعْنِى يَدِى اليهَا

مِنْ شِدَّةِ النُّورِ الذِى عَليهَا

وَنُورُهَا قَدْ نوَّرَ الآفَاقَا

حَتى رَأيتُ الشَّأمَ وَالعِرَاقا

وَقائِلاً سَمعتُهُ يقُولُ

يَا آمِنهْ هَذَا النَّبىّ الرَّسُولُ

مَنْ يكْسِر الأصنَامَ وَالصُّلبَانا

وَيظهِرُ الإسْلاَمَ وَالإيمَانا

مُحمَّدٌ خَيرُ بَنِى نِزَارِ

وَمعْدِنُ الأنْوَارِ وَالأسرَارِ

فَعِنْدَ ما وَاقعَهَا فَحمَلتْ

بالمُصطَفى وَبلغَتْ مَا أمَّلتْ

ثمَّ رَجعَ أبُو النَّبىّ الهَادِى

قالَ لهَا قَدْ جِئتِ فى المِيعَادِ

وَكانَ ذَاكَ النُّورُ مِنه انتقَلاَ لآمِنه كمَا لهُ قدْ وَصَلاَ

قالتْ لهُ فمَا صدَقتَ وَعدْكا أيْنَ الذِى عهِدْتهُ مِنْ نورِكا

قالَ لهَا قدْ صَارَ فى قرِينتى لأننى وَاقعتهَا فى سَاعَتى

قالتْ لهُ فارْجِع إلى وَرَائكا لقَد مَضى مَا كانَ مِنْ بهائكا

قدْ فاتنى مِنكَ الذِى أمَّلتهُ مِنْ ذَلكَ النُّورِ الذِى شاهدْتهُ

إنى رَأيتُ اليوْمَ فى الكِتابِ عِلماً نفيساً وَهْوَ ذو صوَابِ

اليوْمَ يحمَلُ بالنبىّ الهَادِى خيرِ العرَبْ وَأشرَفِ العبَادِ

وَأولِ الخلقِ وَللرُّسلِ خَتمْ وَهُوَ النبىُّ الهَاشِمىُّ المحتشمْ

ثمَّ رَجعتْ قتيلةُ باكِيةً خائبةً حزِينةً على مَا فاتها مِنْ أنوارِ رَسُولِ الله ﷺ قالَ وكانَ مِنْ دلالَةِ حَمل آمِنةَ برَسُولِ الله ﷺ أنْ كلَّ دَابةٍ لقُرَيشٍ نطقتْ تِلكَ الليلةَ وَقالتْ حُمِلَ بمحمدٍ وَرَبِّ الكعْبةِ وَلمْ يبقَ سريرٌ لملكٍ مِنْ مُلوكِ الأرْضِ إلا ارْتجَّ وَأصبحَ منكُوساً وَأصبحتِ الأصنامُ منكوسة على رُؤُسِها وَرَأتْ أمُّه حِين حَملتْ بهِ نوراً أضاءَ لهُ قصُورُ بُصرَى مِنْ أرْض الشأم وَاختلفَ فى مُدَّةِ حمْلِ بهِ ﷺ فقيلَ عشرَةَ أشهُرٍ وَقِيلَ تِسعة وَقِيلَ سَبعةٌ وَقِيلَ سِتةٌ وَقِيلَ ثمَانيةٌ وَعليهِ يَكونُ ذَلكَ آيةً لهُ وَليسَ عَلى أحدِ الأقوَالِ لأنَّ ابْنَ الثمَانيةِ لا يَعيشُ وكانَ المُصطفى ﷺ بكْرَ أبيهِ وَأمِّهِ وَلمْ يلدَا غيرَهُ وَقدْ قالَ بَعضهُمْ فى ذَلكَ (شعراً

بشراك يا آمنة نلت العلا شرفاً لما حملت مليحاً خير من وصفا
تقول آمنة لما حملت به قطعت عيشاً رغيداً بالمنا وصفا
ولا مررت على سهل ولا جبل إلا وكان يقول المصطفى عرفا
علمت أول شهر قد حملت به جاء البشير بميثاق العهود وفا
وثاني شهر لما هل ثالثه جلا الظلام عن الدنيا وقد كشفا
ورابع هل جاءتنا بشائره لاح البيان ودين الكافرين خفا
وخامس الشهر لما هل سادسه تزين البيت بالأعلام والصحفا
وسابع نارت الدنيا بأجمعها
ولاح بدر الدجى من بعد ما كسفا
وثامن جاءت الأملاك آمنة
قالوا لها حياك رب السما وكفا
وتاسع كل أبواب السما فتحت
وجاء جبريل بالأملاك قد وقفا

قالت آمنة لما حملت به ﷺ لم أر في حمله ثقلاً ولا ألماً بل كنت إذا جلست في الحر تأتيني غمامة تظلني والوحوش حولي ترعى وإن جئت إلى بئر ارتفع ماؤها حتى أشرب بيدي منها ولم أشعر بأني قد حملت به ولكن قد أتاني آت في منامي فوكزني وقال لي يا آمنة ابشري فلقد حملت بسيد المرسلين ورسول رب العالمين

فاذا وضعتيه فسميه محمدًا وأنشد يقول (شعرًا

نلت المنا يا بنت وهب ابشري فلقد حملت بالنبي الأطهر
هو مرسل مزمل مدثر وله الجمال الأبهري الأنخري

فلما أراد الله إخراج تلك الوديعة من الأصلاب الرفيعة ظهرت لانتقال نوره الآيات وتباشرت به جميع المخلوقات من أهل الأرضين والسموات يا عرش تبرقع بالوقار ويا كرسي تدرع بالفخار يا سدرة المنتهى تبلجي ويا جنان تزخرفي ويا حور من القصور اشرفي ويا ملائكة طوفي بالعرش وحفي يا رضوان افتح أبواب الجنان ويا مالك اغلق أبواب النيران فان النور المصون والسر المكنون المخزون الذى هو في خزائن قدرتي من الأزل إلى بطن آمنة قد نزل وقد قبل (شعر

حملت به واستبشرت لما دنا نور الحبيب وجاء جاويش الهنا
والكون بالافراح ينشد معلنا يا آمنه نلتي به كل المنا
ماذا تقول في ضيا وجنا ته مع فضله المشهور في وادي منى

قال فلما استقر حمل آمنة وتتابعت شهورها فكان ما من شهر يمضى عليها إلا ومناد ينادي في السموات ومواقف الملائكة وسائر أقطار الأرض مضى لمحمد من أيامه كذا وكذا وباقي لولادته كذا وكذا وكانت آمنة تهتف بها الهواتف بالليل والنهار عند خلوتها

وكانت تخبرُ عبدَ اللهِ بذَلِكَ فيقولُ لها اكتُمي أمرَكِ فسيكونُ لولدِكِ شأنٌ عظيمٌ وأيُّ شأنٍ حتى إذَا مضَى لها ستَّةُ أشهرٍ وهِيَ لا ترَى فِي حملِها ثقلاً ولا المآبلْ كلَّ يومٍ تزْدادُ حسناً وجمالاً قالَ فلمَّا دَخلتْ فِي الشَّهرِ الأوَّلِ مِنْ شهُورِها تزلزَلَ إيوانُ كسرَى وأتاها فِي مَنامِها آدمُ وقالَ لها ابشرِي بسيِّدِ العالمِ وفي الشَّهرِ الثَّاني امتلأتِ الأكوانُ بالبشرَى وأتاهَا فِي مَنامِهَا إدْرِيسُ وبشَّرَها بصاحِبِ التَّسبِيحِ والتَّقْديس وفي الشهرِ الثالثِ غارَتْ بحيرَةُ ساوةَ وأتاهَا فِي مَنامِها نوحٌ النَّصوحُ وبشرَهابالنَّبيّ صاحِبِ الفتُوحِ وفي الشَّهرِ الرَّابعِ فاضَ وادِي سماوةَ وجاءَها شُعيبٌ وبشرَهابمَنْ بيدِه مفاتِيحُ الغيبِ وفي الشَّهرِ الخامِس كثُرَتِ الأنوارُ وجاءَها هُودٌ وبشَّرَها بصاحِبِ الشفاعةِ في اليوْمِ الموْعودِ وفي الشَّهرِ السادِس ماتَ والِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فانهُ أتى مَدِينةَ يثربَ لِيشترِي تمراً وزَبيباً وسمناً لِيصنعَ ولِيمةً فأتاهُ هاذِمُ اللذَّاتِ ومفرِّقُ الجماعاتِ فماتَ هُناكَ فلمَّا جاءَ الخبرَ إلى أبيهِ عبدِ المطَّلبِ بَكى وشكى وجعلَ يقُولُ (شعراً

أحِبَّتِي هانَ كلُّ الشيءِ في نظَرِي	لمَّا رَحلتمْ ماقضَيتُ بكمْ وطرِي
غِبتمْ عنِ العينِ في قلبي لِبعدُكمُ	نارٌ تلهُّبُها يُغشِي على بصَرِي
لكنْ قضَى اللهُ رَبِّي لا مَرَدَّ لهُ	فلا حذَرَ لما يجرِي بهِ ندرِي

قالَ فلمَّا وصَلَ الخبرَ إلى زَوْجتِه آمِنةَ حزِنتْ وبكتْ وشكتْ

وَجعَلتْ تقولُ (شعراً):

فِرَاقكَ كنتُ أخشَى فافترَقنا ... ومَنْ فارَقتُ بعْدَكَ لا أُبالِي
ومَنْ ذا لليَتيمِ ومَاتَ بَعلي ... فوَا أسفاً عَلى موتِ الرِّجالِ
إذَا ما قلَّ قبلَ البُعدِ صَبرِي ... فكيفَ يكونُ بعدَ البُعدِ حالِي
ومَا كانَ التَّفرُّقُ لي ببَالٍ ... ولكِنْ صُنعُ رَبي ذِي الجلالِ
وقدْ ذهبَتْ أحِبَّتنا ومَاتوا ... وقُدِّرَ بالفراقِ فمَا احتيَالى

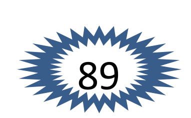
قالَ فلمَّا ماتَ عبدُ اللهِ والدُ رسولِ اللهِ ﷺ ضجتِ الملائكةُ لرَبِّها عزَّ وجلَّ وقالتْ يا ربِّ بَقى حَبيبُك ونبيُّكَ محمدُ يتِيما فأوْحى اللهُ اليهمْ يَا ملائِكتي أسكتُوا أنا أوْلى بهِ مِنْ أمهِ وأبيهِ وَأنا خالقه وكالِؤُهُ وحافِظهُ ومُرَبيهِ وناصِرُهُ على مَنْ يُعادِيهِ فلاَ يَحتاجُ إلى سِوَاىَ ولا يَعتزُّ بأعزَّ مِنى وَأنا حافِظهُ وحارِسُهُ ثمَّ أتاها نبىُّ اللهِ داودُ وبشَّرَها بصاحِبِ المقامِ المحمُودِ قالَ وَفى الشهرِ السابعِ خمَدَتِ النِّيرَانَ وأتاها فى منَامِها نبىُّ اللهِ سُليمانَ وبشَّرَها بصاحبِ البيَان والقرْآن وَفى الشَّهرِ الثامنِ ذلَّ كِسرَى وَهانَ وَأتاها فى منَامِها مُوسَى الكلِيم وبشرَها بصاحبِ الْخُلُقِ العَظيم وفى الشهرِ التاسِعِ سَقطَ عنْ رَأسِ كِسرَى التاجِ وَعظُمَ أمرُهُ وهاجَ فسألَ الرُّهبانَ وَالكهَّانَ فقَالوا قدْ آنَ وَبانَ موْلدُ سيِّدِ وَلدِ عدْنانَ وأتاهَا فى منَامِها عِيسى المسيحَ وبشَّرَها بصاحبِ الوَجهِ المليحِ ولما دخلتْ فِى الشهرِ التاسعِ فأوَّل ليلةٍ مِنهُ حصلَ لآمِنةَ السرُورُ والهنَا

وَفى الليلةِ الثانيةِ بُشرتْ بنيلِ المُنى وَفى الليلةِ الثالثةِ قيلَ لها يا آمنةُ لقدْ حملتِ بمَن يقُومُ بحمدِنا وشُكرِنا وفى الليلةِ الرابعةِ سمعتُ تسبيحَ الملائكةِ مُعلناً وَفى الليلةِ الخامسةِ رأتْ نبيَّ اللهِ الخليل وقالَ لها ابشرى بالنبيِّ الجليلِ صاحبِ النورِ والثَّنا وفى الليلةِ السادسةِ دَامَ الأنسُ والسرُورُ والفَرحُ والهنَا وفى الليلةِ السَّابعةِ سطعَ نورُ الرِّضا وَعمَّ الغِنى وَفى الليلةِ الثامنه طافتِ الملائكةُ ببيتَ آمنةَ لما قرُب وَقتَ وَضعِهِ وَدَنا وفى الليلةِ التاسعةِ بَدا سعدُها والمُنا وفى الليلةِ العاشرةِ زالَ عنها التَّعبُ والعَنا وفى الليلةِ الحاديةِ عشرَ صاحتِ الملائكةُ لخالقِها بالحمدِ والثنا وَفى الليلةِ الثانيةِ عشرَ وُلِدَ سيِّدُ البَشَر قالَ وَكانتْ ليلةَ الإثنَينِ ثانى عَشرِ رَبيعِ الأوَّلِ على أصحِّ الأقوَالِ ولمَا كمَلتْ آمنةَ العَددَ جاءَ المخَاضُ فنُودِيَتْ مِنْ جانبِ البيتِ الحرَامِ يا آمنةُ تأهَّبى لولادَةِ الوَلدِ الميمُونِ قالتْ آمنَةُ فبينما أنا مُتَفكرَةٌ فى أولائكَ إذْ دَخلَ على نساءٌ طِوَالُ الأعناقِ يَفوحُ مِنهُن رَوائحُ المسْكِ الأذفرِ عَليهُنَّ ثِيابُ السُّندسِ الأخضَرِ مُتَقنعاتٍ بمقانعِ العَبقرِىِّ الأحمرِ وَإذَا بأيديهُن كاسَاتٌ منَ الذَّهبِ فيها مَاءٌ أحلى مِنَ العَسَلِ وَأبيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَأطيَبُ رَائحَةٌ مِنَ المسْكِ الأذفرِ فأسقَينَنى ذَلكَ فأزَالَ عنى كلَّ هلَعٍ وَفزَعٍ ثمَّ تقدَّمتْ إلىَّ

وَقالتْ الهَنا لكِ والبِشارَةُ يا آمِنَةُ بسيِّدِ أهل الأرْضِ والسَّما خاتمِ النَّبيِّينَ ورَسولِ ربِّ العَالمينَ ثمَّ تأخَّرَتْ وتقدَّمتِ الأخرَى وَقالتْ لى مَنْ مِثلكِ يا آمِنَةُ وَقدْ جئتِ بالحبيبِ الأعلى والنُّورِ الأبْهَى والمُشفَّعِ فى الخَلقِ غداً أحسَنَ مَنِ احتَذَى وارْتَدَى وعفَّ واهتَدَى وأفضَلَ مَنْ وَطِىءَ الحصَا وَهُوَ النَّبيُّ المُصطَفى قالتْ آمِنَةُ وَكُنَّ يُهنِّئنَنى وَاحِدَةً بعدَ وَاحِدَةٍ ويُخاطِبنَنى بخِطابٍ لمْ أسمَعْ بأرَقَّ منهُ ولا أعذبَ لفظاً قالتْ فلمَّا كانَ وَقتُ العِشاءِ وإذا بسَقفِ بَيتِى قدْ فُرِجَ وَنزَلتْ مِنهُ الملائِكةُ أفوَاجاً أفوَاجاً وَيقِفُونَ حولَ منزِلى يُسَبِّحونَ بأنوَاعِ التَّسبيحِ ثمَّ أقبَلتْ سَحابةٌ مِنَ الطُّيورِ مناقيرُها منَ اليَاقوتِ وأجنِحَتُها مِنَ الزُّمُرُّدِ فجَعَلوا يتبرَّكونَ بفؤَادِى وَيُسبِّحونَ حولى فأخَذَنى ما يأخُذُ النِّساءَ مِنَ الطلقِ وإذْ قدْ ظهرَ مِنِّى نورٌ قدْ بلغَ عَنانَ السَّماءِ حَتى رأيتُ قصورَ بُصرَى وَصارَ القمَرُ والنُّجومُ يَنزِلونَ على بيتى وَيتبرَّكونَ بفؤادِى قالتْ آمِنَةُ فبينما أنا كذَلِكَ إذْ أتانى مَلائِكةٌ بمبَاخِرَ مِنَ الذَّهبِ والفِضَّةِ وَأطلقوا حولى مِنْ أطيبَ الطِّيبِ وإذا بثَوبٍ مِنَ الدِّيبَاجِ قدْ نشرَ بينَ السماءِ والأرضِ وسَمِعتُ قائلا يقولُ أخفوهُ عنْ أعينِ النَاظِرينَ وغيِّبُوهُ عنْ عيونِ الإنسِ والجِنِّ أجمعين

فإنه رسولُ ربِّ العالمينَ وبلغنا أنَّ ليلةَ مولدِهِ ﷺ فُتِحت أبوابُ السَّماءِ ونشرتِ الملائكة أجنحتها في الهواءِ وتزيَّنت جنَّةُ المأوى وتنكَّستِ الأصنامُ على وجوهها ونزلت ملائكةُ السَّماءِ ومعهم ثلاثةُ أعلام علمٌ بالمشرقِ أضاءَ لهُ المغربُ وعلمٌ بالمغربِ أضاءَ لهُ المشرقُ وعلمٌ على ظهرِ الكعبةِ والملائكةُ مُحدِقونَ بالأعلامِ يصيحونَ بالتَّسبيحِ والتَّقديسِ لله ربِّ العالمينَ وطُرِدتِ الشَّياطينُ وولَّوا هاربينَ إلى لُجَجِ البحارِ وهي تصرُخُ بصراخٍ لم تسمعِ السَّامعونَ أشنعَ منهُ وسمعَ بذلكَ الكهَّانُ فمنهم مَنْ غُشيَ عليهِ ومنهم مَنْ ماتَ قالت آمنةُ وكثُرت عليَّ الأملاكُ حتى لا يُوجدُ في البيتِ موضعُ قدمٍ إلا وامتلأ منَ الأملاكِ وهم يصيحونَ بالتسبيحِ والتَّقديسِ كأنَّه دويُّ النحلِ قالت آمنةُ (١) فوضعتُ مُحمداً أتمَّ وضعٍ ولم يحصُل لي بذلكَ ألمٌ ولا وجعٌ فنظرتُهُ فإذا هوَ ساجدٌ لله تعالى نحوَ الكعبةِ وإذا بأصبعهِ قائمةٌ وقد رفعَ بصرهُ شاخصاً إلى السماءِ كالمتضرِّعِ إلى ربِّهِ وسمعتُ في البيتِ لُغاتٍ مُختلفاتٍ والغالبُ عليها السُّريانيَّة وأنشدَ بعضهم في المعنى شعراً :

وُلِدَ المُشفَّعُ في ربيعِ الأولِ ... ولقد عُطيَ فضلاً بأكرمِ مُرسلِ
وجُلِي عروسُ جمالهِ في ليلةٍ ... ما كانَ فيها قبلهُ أحدٌ جُلي



وَتقولُ آمِنةُ رَأيتُ جمَالهُ كالبَدْرِ فى تمٍ يَلوحُ وَيَنجَلى

جبريلُ نادَى فى مَقامِ خطابهِ ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوَّلِ

لا تحجُبيهِ عنْ ملائِكةِ السَّما بحيَاتهِ بحيَاتهِ لا تفعَلى

هذَا الذِى كالرُّمح يَعلو قدْرُهُ وَبقَدِّهِ فاقَ الغصونَ الذبّلِ

نادَتهُ مَا هَذَا فقيلَ منَ العُلى يَا آمِنهْ هَذا النبىُّ المُرْسَلِ

فاستحفِظى بالمُصطفى خيرِ الورى حتى يَعودَ وَامهِلى لا تَعْجلى

هَذَا المُفضَّلُ وَالمُشَرَّفُ الذِى

حَازَ الجمَالُ وَرِيقُهُ كالسَّلسلِ

هَذَا الذِى اختَارَه رَبُّ السما مَاذا تلُمنى فى هَوَاهُ عُذَّلى

وهذَا الذِى مِنْ نورِه قدْ أشرَقتْ

شمْسُ الضُّحى والبَدْرُ حقاً يَنْجلى

هذا الذِى حازَ الجمالُ معَ البُهَا وَتلا العُلومَ وقلبُهُ منهَا مُلى

هَذَا الذِى صَلَّى عَليهِ ربنَا فى نصِّ آياتِ الكتابِ المنزَلِ

يَا عاشِقون تلذَّذُوا بحدِيثهِ فَحدِيثُهُ واللهِ حقاً لذَّ لى

يانفسُ موتى فى هوَاهُ صبابةً وتلذَّذِى بحدِيثهِ أو ما تَلى

وإذا وَصَلتِ فى حِماهُ عَشيةً

عِندَ العَقيقِ لقدْ نصحتُكِ فانزِلى

قالتْ آمنةُ وسمعتُ قائِلا يقولُ طوفوا بحبيبى محمدٍ شرْقَ الأرضِ



وَغَرْبَهَا وَسَهْلَهَا وَجَبَلَهَا وَأَدْخِلُوهُ بِحَارَهَا لِيَعْرِفَهُ أَهْلُهَا بِصُورَتِهِ وَنَعْتِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ النَّبِيُّ الْهَادِي وَالرَّسُولُ الْمَاحِي قَالَتْ فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَإِذَا هُوَ قَدْ رَجَعَ إِلَيَّ وَهُوَ مُنْدَرِجٌ فِي ثَوْبٍ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ غَيْرَ مَصْنُوعٍ وَلَا مَنْسُوجٍ وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ قَدْ لُفَّ فِيهَا وَإِذَا هُوَ قَابِضٌ عَلَى ثَلَاثَةِ مَفَاتِيحَ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ وَإِذَا بِقَائِلٍ يَقُولُ، قَبَضَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ وَمَفَاتِيحِ النَّصْرِ وَمَفَاتِيحِ الْكَعْبَةِ قَالَتْ آمِنَةُ فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضُمَّهُ إِلَيَّ إِذْ رَأَيْتُ سَحَابَةً أُخْرَى أَعْظَمَ مِنَ الْأُولَى وَسَمِعْتُ مِنْهَا خَفَقَانَ الْأَجْنِحَةِ فَغَشِيَتْهُ حَتَّى غَابَ عَنْ عَيْنِي أَكْثَرَ مِنْ غَيْبَتِهِ الْأُولَى وَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ مَوَالِدَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَعْطُوهُ صَفْوَةَ آدَمَ وَرَأْفَةَ نُوحٍ وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَلِسَانَ إِسْمَعِيلَ وَحُسْنَ يُوسُفَ وَشُكْرَ يَعْقُوبَ وَصَوْتَ دَاوُدَ وَصَبْرَ أَيُّوبَ وَزُهْدَ يَحْيَ وَكَرَمَ عِيسَى قَالَتْ فَغَابَ عَنِّي هُنَيْهَةً ثُمَّ جِيءَ بِهِ فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيَّ وَإِذَا هُوَ قَابِضٌ عَلَى حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ مَطْوِيَّةٍ طَيًّا شَدِيداً يَنْبَعُ مِنْ تِلْكَ الْحَرِيرَةِ مَاءٌ وَإِذَا بِقَائِلٍ يَقُولُ قَبَضَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا دَخَلَ تَحْتَ يَدِهِ وَإِذَا هُوَ مَكْحُولٌ مَدْهُونٌ مَقْطُوعِ السُّرِّ يَفُوحُ مِنْهُ رَوَائِح

المسكِ ثمَّ نودِيَ يَا محمدُ لمْ يبْقَ شيءٌ مِنَ الشرَفِ والفضْلِ إلاَّ وقدْ أوتِيتَهُ فأنتَ أكثرُ الأنبياءَ عِلماً وشرَفاً وفضْلا وفخراً قالتْ آمِنَة فبَينما أنا مُتعجِّبةٌ إذْ دَخلَ عليَّ ثلاثةُ نفرٍ فظنَنت أنَّ الشمسَ تطلُعُ مِنْ وُجوهِهمْ وفي يدِ أحدِهمْ إبريقٌ مِنْ فِضةٍ وفي يدِ الآخرِ طشتٌ مِنْ ذهبٍ وهمْ جبرِيلُ وميكائِيلُ ورِضوانُ عليهمُ السلامُ فغسلَه جبرِيلُ مِنَ الماءِ سبْعَ مرَّاتٍ ثمَّ لفَّهُ في حرِيرَةٍ خضرَاءَ وجعَلهُ تحتَ جنَاحِهِ ثمَّ أخرَجهُ مِنْ تحتَ جنَاحِهِ وختَمهُ بينَ كتِفَيهِ وقبَّلَ بينَ عينَيهِ وجَعلَ يُكلمُهُ بكلامٍ لا أفهمُهُ قبلَ ذلكَ وناولَنهُ لي . ولِلهِ درُّ القائلُ شِعْراً :

هذَا نبيُّ الهُدَى هذا الشفيعُ غداً ... هذَا السرَاجُ الذِي لا ينطقُ أبدَا

هذَا النبيُّ الذِي ترْجى شفَاعتُهُ ... هذَا الذِي نورُهُ قبلَ الأنامِ بدَا

هذَا الذِي جاءَنا بُشرَى المسيحِ بهِ ... محمدُ المُجتَبى نِعْمَ الرفيقُ غداً

هذَا الذِي ضاءَتِ الدنيا لموْلِدِهِ ... وزالَ منها ظلامُ الشرْكِ وانفقدا

هذَا الذِي الكوثرُ الحوضُ الطَّهورُ لهُ ... كيزانُهُ كنجومٍ عدَّها عدَدَا

هذَا النبيُّ الذِي قالَ الجليلُ لهُ ... قمْ أنذِرِ النَّاسَ نعطِيكَ لهُ عضُدا

هذَا الذِي جاءَنا بالآى التى عَجَزَتْ
أهلُ الفصَاحَةِ عنْ مِثلِ لها أبداً
هذا الذِي قدْ علا ظهرَ البُرَاقِ وجا
كالبرْقِ ثمَّ رأى الله العَزِيزَ هذَا
هذَا الذِي قدْ أتاهُ الوَحىُ خادِمُهُ
مَنْ ذَا يُنَاظِرُهُ فى الكوْنِ لمْ أجِدَا
هذا الذِي شُقَّ منهُ الجوْفُ ثمَّ مُلى
حِلماً وعلماً فأضحى سيِّداً سَنَدَا
هذا الذِي خرَّتِ الأصنَامُ حِينَ أتى
للدِينِ يَدْعو ونارُ الشِّرْكِ قدْ خمَدَا
وماءُ فارِسَ قدْ غارَ ونارُهمُوا من أجلهِ خمدَتْ مِنْ بعدِ ذا رَشدا
هذَا الذِي قدْ بدَتْ فى الكتُبِ سِيرَتهُ
وَوصفُهُ وإسمهُ فى الصُّحفِ قد وُجِدا
هَذَا الذِي أظهَرَ الإسلاَمَ دَعوَتهُ
أضحَى بدَعوَتِهِ مَنْ كانَ مُقتَصِدَا
هذَا نبيُّكمُوا هذا حَبيبُكموا هذا شفِيعكموا عندَ الحسابِ غدا
صلَّى عليهِ إلهٌ حبَّهُ وهَدَى وخَصَّهُ بمقَامٍ عندَهُ سَعِدَا
قالَ جدُّهُ عَبدُ المطلبِ لما سقطَ رَسولُ اللهِ ﷺ على الأرْضِ

نظرتُ إلى البيتِ الحرامِ وقدِ استمالَ نحوَ ولدِى محمدٍ وخرَّ ساجداً فى مقامِ إبراهيمَ ثمَّ استوى قائماً فسمعتُه يُهلِّلُ ويُكبرُ ويقولُ طهَّرنى ربِّى بظهورِ المصطفى والرسولِ المجتبى ثمَّ انقضَّتِ الأصنامُ إلى الأرضِ حولَ الكعبةِ مُنكَّسةً على رُؤُسِها قالَ فلمَّا رأيتُ ذلكَ خرجتُ أريدُ منزلَ آمنةَ وإذا بغمامةٍ بيضاءَ قدْ أظلَّتْ حجرتَها فلمَّا رأيتُ ذلكَ دنوتُ من بابِ آمنةَ فشممتُ منهُ روائحَ المسكِ والعنبرِ فدخلتُ وإذا أنا بآمنةَ ليسَ عليها أثرُ ولادةٍ ورأيتُ النورَ الذى فى وجهِها قدْ زالَ فاندهشتُ وقلتُ لها فما فُعِلَ بالنورِ الذى كانَ فى وجهِكِ قالتْ وضعتُه أتمَّ وضعٍ فقلتُ هلمِّيهِ إلىَّ حتى أنظرَ إليهِ فقالتْ أتانى آتٍ كالنخلةِ الباسقةِ وقالَ لى يا آمنةُ لا تُظهرى ولدكِ هذا المخلوقِ حتى يمضىَ لهُ ثلاثةُ أيامٍ قالَ فجرَّدَ عبدَ المطلبِ سيفَهُ وقالَ أخبرينى بأمركِ وإلاَّ قتلتُ نفسى فلمَّا رأتْ ذلكَ قالتْ شأنُكَ وما تُريدُ ها هوَ فى ذلكَ البيتِ قالَ فمضى إلى البيتِ فلمَّا دنا منهُ وإذا هوَ برجلٍ لمْ يُرَ أطولَ منهُ كالنخلةِ الباسقةِ شاهراً بيدِهِ سيفَهُ قالَ عبدُ المطلبِ فصرخَ بى صرخةً ارتعدتْ منها فرائصى واندهلَ لها لُبى وقالَ لى إلى أينَ تريدُ فقلتُ إلى ولدِى أنظرُ إليهِ فقيلَ قدْ حيلَ بينكَ وبينهُ ثلاثةَ أيامٍ فلمَّا تنقضى الثلاثةُ أيامٍ لزيارةِ الملائكةِ لهُ وبعدُ ذلكَ

كلُّ اهلهِ يَنظرُونَ اليهِ ﷺ وأنشد بعضهمْ فى المعنى (شعراً

لموْلدِ المُصطفى الأصنَامُ قدْ نُكِستْ

على الرؤُسِ وَوَلى الشّرْكُ فى ذعَرِ

وَجاءَ جد النبىّ المرْتضى فرأى أعلا التمَاثِيلِ منكُوساً على الحفرِ

فسارَ حالاً إلى بَيتٍ لآمِنةٍ أم النبىِّ التّقىِّ الطاهِرِ العَطرِ

فأبصَرَ الأم فِيهِ وَهِىَ رَاقِدَةٌ مَسلوبَةُ النُّور تحكى الحورَ فى الخفرِ

فقَالَ مابكِ قالتْ جاءَنى وَلدٌ وَنورُ طلعتِهِ فاقَ على القَمرِ

فقالَ أينَ بُنى أينَ أطلبُهُ لاصَبرَ لى عنهُ فى ليلٍ وَفى سحَرِ

قالتْ أتانِى رِجالٌ طُولُ قامَتِهمْ

مِنَ الثرَى لِلثُرَيَّا خلقَ مقْتدِرِ

ثلاثَةٌ حمَلوهُ وَاحتفُوا وبهِ فى ذلكَ البيتِ فاقصِدْ نحوه وسِر

فعِندَ ما قصدَ المختَارَ ينظرُهُ قامُوا اليهِ وَقالوا قوْلَ مُنتهِر

حَتى يزُورَ رَسُولَ اللهِ قبْلكمُوا

جُندُ الملائِكةِ المُوفُونَ بالنُّذرِ

وَبعدَ ذلكَ تأتِى الزّائرُونَ يرَوْا

جمَالهُ فينَالوا غايَةَ الفَخرِ

قالَ فلمَّا كانَ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ وَانقضَتْ زيارَةُ الأملاكِ لهُ كشِفَ للنظّارِ عنهُ وَفرِحَ بهِ أهلهُ وَعشيرَتهُ فنودِىَ لهُ فى الأقطَارِ هذا

مُحَمَّدٌ نبيُّ اللهِ المختار رَسولُ الملكِ الجبَّار فطُوبى لحِجرٍ يضمُّه وَلثَدْى يُرْضِعه فكانَ أوَّلَ مَنْ عبرَ عليهِ وَنظرَ اليهِ جدُّهُ عَبدُ المطلبِ فأوْمأ إلى جَدِّهِ كالمُسلِّم فامتلأ البيتُ مِنْ نورهِ وَتبسَّمَ فى وَجهِ جدِّهِ قالَ فضمَّهُ عبدُ المطلبِ اليهِ وَقبلَ مَا بينَ عينيْهِ وَجعَلَ يقولُ (شِعراً

الحمْدُ للهِ الذى أعطانى هذا الغُلامَ الزَّائدَ البُرْهانِ
ما مِثلهُ فى إنسِهَا وَالجانِ هذا الذى سُمِّىَ فى القرْآنِ
بأحمدِ خيرِ بَنى عَدْنانِ أعيذُهُ بالبيتِ ذِى الأرْكانِ
مِنْ كل عبْدٍ حائلِ الأعْيانِ
يرْمُقُهُ وَليسَ ذَا إيمانِ
أعيذُهُ بقُدْرَةِ الرَّحمنِ
الوَاحِدِ المُهيْمنِ المنَّانِ
هُوَ سَيّدِى مُحَمَّدُ العدْنانِى قدْ فاقَ بالحسْنِ على الغِلمانِ
أحمدُ مكتُوبٌ علىُّ الشَّأنِ صَلى عليهِ الوَاحدُ الفرْدَانِ

ثُمَّ إنَّ عبدَ المطلبِ رَفعهُ إلى أمهِ فتبسَّمَ فى وَجْهِهَا ضاحِكاً فبرقَ مِنْ فمهِ نُورٌ لحقَ عنانَ السَّماءِ فقالتْ آمِنةُ يالكَ مِنْ وَلدٍ ما أحسنَكَ وَما أطيبُ رَائِحتَكَ وَأعلاَ قدْرَكَ وَأعظمَ نُورَكَ وَأكثرَ برَكاتكَ ثُمَّ إنهَا جعلتْ تُعوِّذُهُ وَتقولُ (شِعراً

أُعِيذهُ بالوَاحِدِ مِنْ شرِّ كلِّ حاسِد
يَقعُدُ في المرَاصِدِ وَفي الطَّرِيقِ الوارِد
مِنْ ظالمٍ وَجاحدٍ وَكافِرٍ مُعَانِد
أنتْ لهُ يا شَاهِد إكفِهِ كلَّ مارِد

وصارَ الناسُ يأتونَ إليْهِ وَيتَعجبُونَ مِنْ حُسنِهِ وَجمَالِهِ وَنظافتِهِ وَهوَ شاخِصٌ ببَصَرِهِ إلى السّماء وَيُحرِّكُ لِسانَهُ في فمِهِ وكلُّ مَنْ دَخلَ عليهِ ونظرَ اليهِ وَأتى أهلهُ تقولُ لهُ زَوْجته إذا قدِمَ مِنْ زيارَتِهِ هلْ تطيَّبتَ بالطِّيبِ لأنَّهُ يدْخُلُ عليْها برَوائِحَ زكيَّةٍ فيقولُ لا وإنما كنتُ عِنْدَ محمدٍ بنِ عبْدِ اللهِ زَادَهُ اللهُ شرَفاً ، قالَ وَفي ليْلةِ موْلِدِهِ ﷺ خمدَتْ نارُ فارِسَ ولمْ تكنْ خمدَتْ قبْلها بألفِ عام وَارتجَّ أيوَانُ كِسرَى وسقطتْ منْهُ أربعَةَ عشرَ شُرافةً وَغارَتْ بُحيرَةَ ساوَةَ وَفاضَ ماءُ وَادِي سماوَةَ وَبَطلَ السِّحرُ وَالكهَانةُ وُحرِصَتِ السَّماءُ بالشُّهُبِ وَمُنِعَتِ الشياطِينُ مِنَ استِراقِ السَّمعِ وَأصبَحتْ أصنَامُ الدُّنيا منكوسَهً ساقِطةً على رُؤُسِها وَأتى إبليسَ جبَلَ أبي قُبيْسٍ وصاحَ صيْحةً عظيمةً واجتَمعَ عِندهُ الشياطِينُ كلها وقالوا لهُ ما الذي دَهاكَ فقالَ لهُمْ يا وَيلكم هُلكتمْ هذهِ المرَّةَ هلاكاً لمْ تهلكوا قبلهُ قالوا وَما القِصَّةُ وما الخبرُ فقالَ وُلِدَ محمدٌ

ابنُ عبدِ الله المبعوثُ بالسيفِ القاطعِ والضياءِ اللامعِ وهوَ يُغيِّرُ الأديانَ ويُبطِلُ عِبادَةَ الأوثانِ فأينَ لكم الفِرارُ والملجأ وكانَ ورَقةُ بن نَوفلٍ وزَيدُ بن عمرٍو وعبدُ اللهِ بنُ جحشٍ وعثمانُ ابنُ الحُوَيرثِ وَجماعةٌ مِنْ قرَيشٍ لهمْ صنمٌ يجتَمعونَ إليهِ ويَعكفونَ عليهِ وكانَ لهمْ فى كل سنةٍ يومٌ يتَّخذونهُ عِيداً وكانوا يَنْحرُونَ لهُ الجزُورَ ويشْرَبونَ عندَهُ الخمورَ فى كلِّ عِيدٍ فدَخلوا عليهِ فرَأوهُ مكبوباً على وجهِهِ وأنكرُوا ذلِك وردّوهُ إلى حالهِ فانقلبَ على وجههِ انقلاباً عنيفاً فردُّوهُ إلى حالهِ فما لبثَ حتى انقَلبَ انقِلاباً عنيفاً ثلاثَ مرَّاتٍ فقالَ عثمانُ بنُ الحُوَيرثِ ماله وقدْ أنكرَ التَّنكيسَ إنَّ هذا الأمرَ لعَظيمٌ وكانَ ذلكَ ليلةَ موْلدِهِ ﷺ فأنشَدَ عثمانُ ابنُ الحُوَيرثِ يقولُ شِعراً :

أيا صنمَ العِيدِ الذِى صُفَّ حوْلهُ

صنَادِيدُ وفدٍ منْ بعِيدٍ ومنْ قُربِ

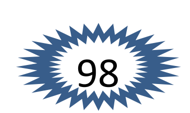
تَنكَّستَ مقلوباً فما ذاكَ قلْ لنَا

كفَاكَ سفيهٌ أمْ تنَكَّستَ للعتبِ

فانْ كانَ مِنْ ذنبٍ جنَينَا فانَّنا

نَبوءُ باقرَارٍ وَنلوِى عنِ الذّنبِ

وَإنْ كنتَ مقلوباً ونُكِّستَ صاغِراً



فما أنتَ في الأوثان بالسيِّدِ الرَّبِّ

ثمَّ أخذُوهُ وردُّوهُ إلى حالِهِ فلمَّا استوى مكانَهُ هتفَ هاتفٌ يقولُ شعراً

تردَّى لمولودٍ أنارتْ لنورِهِ
جميعُ فجاجِ الأرضِ في الشرقِ والغربِ

وخرَّتْ لهُ الأصنامُ طُرًّا فأزعجتْ
قلوبَ ملوكِ الأرضِ من كثرةِ الرُّعبِ

وفي جميعِ الأرضِ أطفئتْ وأُخمِدَتْ
وقدْ باتَ منهُ الفرسُ في أعظمِ الكربِ

فيالَ قُصيٍّ ارجعوا عنْ ضلالِكمْ
فهبُّوا إلى الإسلامِ والمنزلِ الرَّحبِ

قالَ فراعَهُمْ ذلكَ وكانَ قبلَ مولدِهِ ﷺ مَلكٌ من ملوكِ العربِ وكانَ يعبُدُ صنماً منْ دونِ اللهِ تعالى وقدْ توَّجهُ بتاجٍ منَ الذَّهبِ وحلاَّهُ بالحليِّ والجواهرِ الثمينةِ وكانَ لهُ بنتٌ أصابَها مرضُ الفالجِ وكانتْ سطيحةً لا يدينِ ولا رجلينِ وكانَ ينصبُ الصنمَ ويجعلُها أمامهُ ويقولُ أيُّها الصَّنمُ هذهِ ابنتي أسألكَ أنْ تعافيها وإنْ كانَ عندكَ دواءٌ فداوِها، أقامَ على ذلكَ الحالِ عشرينَ سنةً وهوَ يطلبُ منْ ذلكَ الصَّنمِ هذهِ الحاجةَ فلا يقضيها لهُ أبداً فقالَ الرجلُ لزوجتِهِ ويحكِ



أنا أعرفُ منكِ وأعقلُ كمْ تدْعوا هذا الحجرَ الذِى لا يتكلّمْ وَإنْ حدّثناهُ لا يفهم وما ظننتُ أننا على دِينٍ أقومَ ليظهرَ منْ هوَ صاحِبُ الطّرازِ المُصلّم والدّينِ الأقومِ والقلبِ الأرحم الضّبُّ لهُ يتكلّم والطيرُ لهُ يترنمْ أزْكى مولودٍ وأحلم وأعطفُ وأرْأفُ وأحسنُ وأظرفُ وأجملُ وأكرمَ فقالت لهُ زوجتهُ أمهِلْ ولاتعجلْ لا بُدّ لنا مِمّنْ يُرْشِدُنا وحالٍ يدلُّنا ولا بُدّ لهذِهِ السّمواتِ والأرْضِ وسائِرِ الخلائِقِ مِنْ خالِق قالَ فبينما الصّنمُ على سَطحِ دارِهِ منصوب وهوَ بينَ يديهِ حائِرُ العقلِ مسْلوب إذْ شاهَدَ نوراً ملأ الشمالَ والجنُوب ثمّ عادَ يرْجِعُ ويؤُب ورأى الملائِكةَ قدْ سجدَتْ والأطفالَ قدْ تواجدَتْ والأحجارَ قدْ سبّحَتْ وقدّستْ ورأىَ الصّنمَ على سطحِ دارِهِ منكوساً مقلوباً فقالَ الرّجُلُ ما الخبَرُ وأسرَعَ لزَوجتهِ بالنّظرِ وإذا الصنمُ يقولُ . ألا وإنّ النبيّ العربِيّ قدْ ظهرَ وهوَ سيّدُ البَشرِ وفخرُ رُبَيْعةَ ومُضَرْ هذا الذِى قريْشٌ بهِ تفتخِر وأعزُّ منْ شكرَ وأعظمُ منِ التّحفَ وأنْذرَ هذا الذِى يُخاطِبُهُ الشّجر وينشقُّ لهُ القمَر وينبعُ لهُ الماءُ مِنَ الحجَر هذا الشفيعُ لامتِهِ فى المحشَر مَنْ أحبّهُ وصلّى عليهِ يرْبَحُ ولا يخسر. فقالَ الرّجلُ أيهَا الحجَرُ الجلمود ما إسْمُ

هذا المولود فقال الصنم إسمه محمد ووجهه من النور يتوقد شعره أسود وخده أحمر مورد وقده أقوم من الرمح وأزيد وهو الذى فى الجمال قد توحد والحبيب الذى فى حسنه قد تفرد ثم قال الرجل ما هذا أيها الصنم قال يا عامر هذا المولود الاملاك تعرفه والجن والانس تصفه والوحوش تدنو منه وتقرب إليه والشمس والقمر يصليان ويسلمان عليه هذا كله وبنته أسفل الدار نائمة فما يشعر إلا وهى عنده على سطح الدار قائمة قال لها وأين مرضك الذى تعهدينه ووجدك الذى تجدينه وأين سهرك الذى تواصلينه قالت يا أبتاه بينما أنا الساعة فى منامى وإذا بشخص قد أتانى ونوره دانى فقلت له ما هذا النور الذى غشانى وتعلق به جنانى قال هو مولود بمكة دانى فقلت له تشرف به بنيانى ولولاه ما استقرت أركانى فقلت ما نسبه قال لى عدنانى فقلت ما دينه قال حنيفاً ربانى فقلت ما معبوده فقال المهيمن الوحدانى فقال توسلى به لان إلهه يقول لا يخيب من دعانى وخذى من هذا النور وضعى على جسمك وكشفت قمصانى فقمت من منامى صحيحة طيبة على قدمى كما ترانى، فقال الرجل لزوجته قومى بنا فى طلب هذا المولود

فليسَ لنَا عنهُ قعُود فمِثلهُ لا يُرَى فى الوُجودِ قالَ فخرَجَ هوَ وَزوجتهُ لمكَّةَ طالِبينَ ولهذا المولودِ قاصِدينَ فكانوا يمُرُّونَ على النَّخيلِ وَهىَ ساجِدةٌ وهىَ عنِ التَّحرُّكِ جامدَةٌ فقَالَ الرجلُ لزَوجتِهِ وَيحِكْ إنَّ لهذا المولودِ نبأً وفى أمرِهِ تعَجُّباً فمَرُّوا فى طريقِهِمْ على رَاهِبٍ فسألوهُ عنْ هذا المولودِ فقَالَ عجَباً عجَباً رأيتُ أنهُ حدَثَ حادِثٌ فى الوُجودِ مولودٌ كلٌّ قلبِ إليهِ صبَا ورأيتُ الأملاكَ منَ السّماءِ نزُولاً يجِدُّونَ السيرَ نحوَ مكّةَ طرَباً وَرَأيتُ الوُحوشَ تقطعُ لهُ أودِيةً ورُبا وَسمِعتُ مُنَادِياً يُنادِى وُلِدَ كافِلُ الغُرَبا وَسيّدُ أهلِ قُبَا وينشِدُ شِعراً :

وُلِدَ السَّاكِنُ فى سَفحِ قُبا　　سيدُ الأبرارِ خيرُ النُّجُبا

كاملٌ هوَ الذِى طَلعتُهُ　　مَنْ رَآها قالَ هذا عجَباً

مالهُ فى حُسنِهِ منْ مُشبِهٍ　　عَرفُهُ أصبَحَ عَرفاً طيّبا

احضَروا أوطانهُ كى تغنَموا　　وتحُطّوا بالوَصلِ عيناً طيّباً

تسألونَ عنْ حديثٍ عجَباً

إنّ للمُختَارِ فى الكونِ نبَا

ثمّ قالَ الراهِبُ يا قومِ أنا أخبرُكمْ بحقيقَةِ هذا الخبرَ وُلِدَ سيدُ البشَرِ هذا المولودُ يعرِفهُ الطيرُ فى وَكرِهِ والوَحشُ فى قفرِهِ

أودعَ بحرَ العلمِ في صدرِه فلا تسألوني عن علوّ قدرِه فقد أخبرتكُم ونعتُّ في شكرِه سيرُوا إليه تجدوهُ كعروسٍ برزَ من خدرِه مشرقاً في الأرضِ عندَ أهلها بذكرِه وفي السماءِ مخصصاً بشكرِه حارت عقولُ الفصحاءِ في نعتِه قالَ ثمّ ساروا لمكةَ يقصدونَ وكلٌّ منهم بجمالِ محمدٍ مفتتنونَ إلى أن وصلوا مكةَ فرأوا أصنامَ البيتِ وقد تنكّست على رؤوسها فقالوا يا أهلَ مكةَ أخبرُونا عن هذا الحديثِ فقالَ لهم أهلَ مكةَ رأينا البيتَ الحرامِ تحرّكَ ورأينا الطيرَ يظلّلُ بيتَ آمنةَ بنتِ وهبٍ وسمعنا منادياً ينادي سعدَ الحادي والبادي بمولدِ النبيّ الهادي وخمدتِ النيرانُ بولادتِه وانقطعَ وادي سماوةَ لمشاهدتِه وغارت بحيرةُ ساوةَ لسعادتِه وذهلت عقولُ الناسِ من محبتِه وسقطَ من كسرى التاجُ باشارتِه قالَ فأتوا إلى بيتِ آمنةَ وقرعوا البابَ فخرجت لهم آمنةَ فقالوا لها أردنا ننظرُ إلى صاحبِ الوجهِ المليحِ والقدّ الرجيحِ والدّينِ القويمِ والقلبِ السليمِ فقالت لهم ادخلوا فلمّا دخلوا ورأوا أنوارَ رسولِ اللهِ ﷺ ساطعةً إلى السماءِ وهوَ كالبدرِ ليلةَ تمامِه وكمالِه فتعجّبوا وحاروا ثمّ أخبرتهم بما رأت فطربوا وصاروا يقبّلونه ويقولونَ خرجنا عن عبادةِ الأصنامِ فقالت لهم آمنةُ

هَلِّلوا فانَّ جدَّهِ عبدُ المُطلبِ قالَ لى اخفيهِ عنْ كلِّ أحدٍ واحفظيهِ
فخرجوا مِنْ عِندِها وهمْ منْ أنوارهِ باهِتون وهم يقولونَ شعراً :

أقسمتُ مِثلكَ لا يكون يا ساكِناً برُبا الحجُون
أنتَ الذِى حُزْتَ البهَا والحُسْنَ معَ كحلِ العيون
فغُصُون قدَّكَ قدْ علَتْ حُسْنُ التثنى كالغصون
أنا فى هواكَ مُتَيَّمٌ قدْ زادَ منْ لهبِى الجنُون

قال واشتَهرَ موْلِدهِ ﷺ فى الآفاقِ وَأوْلمَ عبدُ المُطلبِ يومَ سابعِ وِلادَتِه وَليمةً جمعَ فيهَا أهلَ مكةَ وَذَبحَ الجزرَ والغنمَ وعملَ طعاماً ثمَّ سوَّى قديداً وحمَلهُ للوُحوشِ فى البريَّة فلم يكنْ للنَّاسِ حديثٌ إلاَّ وَليمَةُ عبدِ المُطلب الذِى أوْلمهَا لرَسولِ اللهِ ﷺ فرَحاً لموْلِدِهِ وَحصَلَ لأهلِ مكةَ السُّرُورُ والهَنَا وَزالَ عنهُم التَّعَب وَالعنَا وتمَّ القصدُ ونالوا المنَا وأنشدَ بعضهُمْ يقولُ شعراً :

هُنِّيتُموا ياحاضِرونَ أتى الهنَا بدَوامِ عزٍّ لا يُدَنسُهُ خنَا
بُشراكموا وُلِدَ الحبيبُ نهلِّلوا شُكراً وصلُّوا باشتياقٍ كلنَا
هُنِّيتُموا بمُحمدٍ وجمالِهِ طِيبُوا فقدْ نِلتُمْ بهِ كل المنَا
زالَ العَنا فتمَتَّعوا بصِفاتِهِ والوَقتُ راقَ وَطابَ ياإخوانا
يكفِيكموا أنوارُهُ قدْ أشرَقتْ قِرُّوا بهِ يا عاشقِينَ الأعيُنَا

فبذِكرِه طابَ الوجودُ وإنْ أتى تِذكارُ موْلِدِهِ يكونُ لنا الهنَا

فى سائِرِ الأوْقاتِ نلقى فرْحةً بنَبيِّنَا ويَكونُ ذلكَ عيدُنَا

فالرُّسلُ والأملاكُ عِندَ وِلادَتِهِ

استَبْشَروا والكفرُ أصبَحَ فى عَنَا

وَبهِ أتمّ اللهُ عِدَّةَ رُسلِهِ فلنَا الفِخارُ بِهِ على مَنْ قبلَنا

ولقَدْ سَعِدْنا بالنبىِّ محمدٍ فالحمدُ للهِ الذِى قدْ خصنا

بحبيبهِ ورَسولِهِ خيرِ الورَى حمدًا يدُومُ إلى المدا اهدَى لنَا

نجمَ الهِدَايةُ أحمدٌ ومحمدٌ وهوَ الذِى صلَّى عَليْهِ ربُّنا

فلعَلَّ ندْخلُ فى شفَاعتِهِ غدا وبهِ الإلهُ يُقِيلُنَا مِنْ ذَنبِنَا

صَلوا عليهِ وارفعوا أصوَاتَكم هذا النّبى صلَّى عليهِ إلهُنَا

صلى عَليهِ اللهُ مَا حَادَ حَدَا

وَسرَى الحجيجُ وعايَنُوا وَادِى مِنى

قالَ ولما ارتجَّ إيوانُ كِسْرَى يومَ موْلِدِهِ ﷺ وسقَطَ منْهُ أربعَةَ عشْرَ شُرَّافةً جمَعَ فُرْسانهُ وقوْمَهُ فلمَّا اجتَمعوا قالَ أتَدْرُونَ فيمَ جُمِعتُمْ لهُ قالوا لا إلاَّ أنْ يُخبرَنا الملكُ وإذْ قدْ وردَ عليهِ كِتَابٌ بخمُودِ النّيران ووَرَدَ عليْهِ كِتَابٌ مِنْ إيليَاءَ يُخبرُهُ أن بُحيرَةَ ساوَةَ غاضتْ تلكَ الليلةَ ووَرَدَ عليهِ كِتَابُ صاحِبِ الشأمِ يُخبرُهُ بأنَّهُ لمْ يجرِ الماءُ فى وَادِى سماوَة

وَقدِ انقطعَ ماؤُهُ ثمّ أخبرَهمْ بارْتجاجِ الإيوَانِ وسقُوطِ شُرَّافاتِهِ فقَالَ المُوْزَبانُ وأنا رَأيتُ فى مِنَامى إبلاً صِعاباً تقُودُ خيلا عِرَاباً قدْ قطعَتْ دِجلةَ وانتشَرَتْ فى بلادِها ثمّ كتَبَ كِسرَى إلى النعْمَانِ كِتاباً بأنْ يُرْسِلَ لهُ عالِماً يسْألهُ عنْ أمرٍ مُهِمّ وَقَعَ لهُ فأرْسَلَ لهُ النّعمان عبْدَ المسِيحِ فلمَّا حضَرَ قالَ لهُ كِسْرَى ألكَ عِلمٌ بمَا أُرِيدُ أنْ أسألكَ عنْهُ فقَالَ سَلنْى بمَا تحِبُّ فانْ كانَ عنْدِى عِلمٌ بذَلِكَ أخبرْتُكَ وإلاّ دَللتُكَ على مَنْ يَعلمُهُ فلمَّا أخبرَهُ بذَلِكَ قالَ عبْدُ المسيحِ عِلمُ ذلِكَ عِندَ خالى سَطيحٍ وكانَ أعلمَ أهلِ زَمانِهِ وَليسَ لهُ عظمٌ وَلا عصَبٌ بَلْ هوَ قِطعَةُ لحمٍ يُطوَى كالثّوْبِ وَلهُ سَرِيرٌ يُوضعُ عليْهِ فيذْهبُ فيهِ حيثُ يَشَاءُ وإذا أُرِيدَ استِخبَارُهُ يُخبرُ بالمُغيبَاتِ فيُحَرَّكُ فيُخبرُ بمَا سُئِلَ عنهُ فقَالَ لهُ كِسْرَى اذهَبْ اليْهِ واسألهُ عمَّا سألتُكَ عنهُ وائتِنى بتَعبيرِهِ فخرَجَ عبْدُ المسيحِ حتى أتى إلى خالِهِ سَطيحٍ فكلَّمَهُ فلمْ يَرُدَّ عليهِ الجوَابَ فأنشَدَ عبدَ المسيحِ شِعرًا :

(أصمَمٌ بكَ غِطرِيفَ اليمنْ)

وأنشَدَ أبيَاتاً قالَ فلمَّا سَمِعَ سطِيحٍ شِعرَ عبْدَ المسيحِ قالَ سَطِيح آتى عبْدُ المسيحَ على جَملٍ مُشيحٍ إلى سطِيح وَقدْ

وَافى على الضَّرِيحِ « يَعنى القَبرَ » بَعثَكَ ملكُ بنى سَاسَانَ لارتجاجِ الايوَان وخمُودِ النيرَان ورُؤيا المُوبذَان رأىَ إبلاً صِعَاباً تقودُ خيلاً عِرَاباً وَقدْ قطعَتْ دِجلةَ وَانتشرَتْ فى بلادِها يا عبْدَ المَسيح إذَا كثرَتِ التِّلاوة وظهَرَ صاحِبُ الهِرَاوةِ وَفاضَ وَادِى سماوَة وَغاضَتْ بُحَيرَةُ سَاوَةَ وَخمدَتْ نارُ فارِسَ فليسَتْ بابلِ الفُرْسِ مُقامَا وَلا الشَّامِ لِسَطيحِ شاما يملك منهُمْ ملوكاً وَمَالِكات بعَددِ الشرّافاتِ وكلَّما هوَ آتٍ آت ثمَّ قضَىَ سَطِيحٌ مكانَه فنهَضَ عبْدُ المسِيحِ إلى رَاحِلتِهِ وَهوَ يقولُ :

شمّرْ فانكَ ماضِى الهَمّ تشهيرُ   لا يفزَعَنَّكَ تفرِيقٌ وتغْييرُ

إلى آخرِ الأبيَاتِ المشهورَةِ فلمَّا قدِمَ عبدُ المسيحِ على كِسْرَى وَأخبرَه بمَا قالهُ سطيح قالَ كِسرَى يملكُ منَّا أربعَةَ عشرَ ملكاً وَقِيلَ لمَّا دَخلَ عليهِ جدُّهُ عبْدُ المُطلبِ تبَسمَ فى وجههِ وكلَّمهُ فأولُ كلامٍ قالهُ اللهُ أكبرُ كبيراً وَالحمدُ للهِ كثيراً وسُبحانَ اللهِ بُكرَةَ وأصِيلاً فهُوَ ممَّنْ تكلَّمَ فى المَهْدِ وَهوَ يُنَاغِى القَمَرَ وَهوَ فى مَهْدِهِ . ورَوَى عنْ عمِّهِ العبّاسِ رَضىَ اللهُ عنْهُ أنهُ قالَ يا رَسولَ اللهِ دَعانى إلى الدُّخولِ فى دِينِكَ علامة لنُبُوَّتِكَ رأيتكَ فى المهدِ تُكلمُ القمَرَ وَتُشيرُ إليْهِ باصبعِكَ

تخيثُ ما أشَرْتَ اليهِ مالَ القمرُ اليكَ . فقالَ ﷺ كنتُ أحدثُهُ ويُحدِّثُنى ويُلهينى عنِ البُكاءِ وأسمَعُ وَجبتَهُ أىْ سقطَتَهُ حينَ يسجُدُ تحتَ العَرْشِ وكانَ مهدُهُ ﷺ يتحرَّكُ بتحريكِ الملائكةِ وقيامُ الناسِ عندَ ذِكرِهِ بدْعةٌ حسَنَةٌ وعقَّ عنهُ جَدُّهُ عبدُ المطلبِ بكبْشٍ يومَ سابعِ ولادَتهِ وسمَّاهُ محمداً فقِيلَ لهُ لِمَ سَمَّيتَ ولدَكَ محمداً وليسَ هذا الاسمُ فى آبائكَ ولاَ قومِكَ قالَ رَجوْتُ أن يُحْمَدَ فى السماءِ والأرْضِ وقدْ حقَّقَ اللهُ رَجاءَهُ . وأما ما وُرِدَ فى فضْلِ التَّسميَةِ بهذَا الاسمِ الشَّريفِ أعنى محمداً قالَ الحلبى فى سِيرَتِهِ أثرِ العُيونِ فى سيرَةِ الأمينِ المأمونَ وأفضلُ التسميَةَ بهذَا الاسمِ أعنى محمدًا فقَدْ جاءَ فيهِ أحاديثُ كثيرَةٌ وأخبارٌ شهيرَةٌ منهَا أنَّهُ ﷺ قالَ قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ وَعِزَّتى وجلالى لا أُعَذِّبُ أحدًا تُسمَّى باسمِكَ فى النَّارِ والمُرادُ اسمه أحمدُ أو محمدٌ . وفى خبرِ مَنْ وُلِدَ لهُ مولودٌ فسمَّاهُ محمدًا محبَّةً فىَّ وتبرُّكًا باسْمى كانَ هوَ ومولودُهُ فى الجنَّةِ وعنْ أبى رافعٍ إذا سَمَّيتُمْ محمدًا فلاَ تضْرِبوهُ ولاَ تحرِمُوهُ . وفى روايةٍ طُعِنَ فيهَا فلا تسُبُّوهُ ولا تُجبِّهوهُ ولاَ تُعنِّفوهُ وشرِّفوهُ وعظِّموهُ وبرُّوا قسمَهُ وأوْسِعوا لهُ فى المجالسِ ولا تُقبِّحوا لهُ وَجهاً بُورِكَ فى محمدٍ

وَفى بيتٍ فيهِ محمدٌ وَمجلسٍ فيهِ محمدٌ. وَفى روَايةٍ عَنِ ابنِ عباسٍ رَضىَ اللهُ عنهُما مَنْ وُلِدَ لهُ ثلاثةُ أولادٍ فلمْ يُسَمِّ أحدَهُمْ محمدًا فهُوَ جَاهِلٌ وَفى روَايةٍ فهُوَ مِنَ الجفَا وَفى روَايةٍ فقَدْ جَفَانى وَذَكرَ بعضُهمْ أنَّ مَنْ أرَادَ أنْ يكونَ حمْلُ زَوْجتِهِ ذكرًا فليَضعْ يدَهُ على بطنِها وَليَقُلْ إذا جاءَ هذَا الحملُ ذكرًا فقَدْ سَمَّيتُهُ محمدًا فانَّهُ يكونُ ذَكرًا . وَرُوِىَ ما قَصَدَ قومٌ على طعَامٍ حَلالٍ فيهمْ رَجلٌ اسمُهُ اسمى اىْ أحمَدُ أو محمدٌ إلاَّ تضَاعفَتْ فيهِمُ البرَكةُ . وَعنِ الحسنِ بنِ علىّ بنِ أبى طالبٍ مَنْ كانَ لهُ حمْلٌ وَنوَى أنْ يُسمِّيهِ محمدًا حَوَّلهُ اللهُ ذَكرًا وَلوْ كانَ أُنثى . وعنْه ﷺ أنهُ قالَ مَنْ كانَ لهُ ذُو بطنٍ ونوى أنْ يُسمِّيهِ محمدًا رزَقهُ اللهُ وَلدًا ذَكرًا وَعنْ أنسِ بنِ مالِكٍ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ يوقفُ بينَ يدى اللهِ عزَّ وجلَّ فيؤمرُ بهمَا إلى الجنَّةِ فيقولانِ رَبنَا بِمَ نِلنَا الجنةَ فيقولُ اللهُ تعَالى إنى آليتُ على نفسى أنْ لا يَدْخلَ النارَ مَنْ إسمهُ أحمَدُ أو محمدٌ .

وَعنْ نُبيطِ بنِ شرِيكٍ قالَ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ قالَ اللهُ عزَّ وَجلَّ وَعزتى وجلالى لا عذَّبتُ أحدًا تسمَّى باسمِكَ فى النَّارِ رَوَاهُ أبو نعيمٍ عَنْ أبى على الحدَّادِ عنْ ابنِ مَنصُورٍ الدَّيلمىّ فى مَسنَدِ الفِرْدَوْسِ بسنَدِهِ مرْفوعاً وَقالَ متَّصِلُ الاسنادِ

وَرُوِىَ عَنْ جَعفَرِ بنِ محمدٍ إذا كانَ يومَ القِيامةِ نادَى مُنادٍ ألاَ ليَقُمْ مَنْ إسمُهُ محمدٌ فليَدخلِ الجَنَّةَ لكرامةِ اسمِهِ ﷺ وَفى لفظٍ آخرَ يُنادَى يومَ القِيامَةِ ليَرفعْ رأسَهُ فى الموقِفِ مَنْ إسمُهُ محمدٌ فيقولُ اللهُ جلَّ جلالُهُ أُشهِدُكم أنى قدْ غفرتُ لكلِّ مَنْ إسمُهُ على إسمِ محمدٍ نبىٍّ وَعنْ أبى أمامةَ رَضىَ اللهُ عنهُ قالَ مَنْ وُلِدَ لهُ مولودٌ فَسماهُ محمدًا تبرُّكًا كانَ هُوَ وَمولودُهُ فى الجَنَّةِ رَواه صاحِبُ الفِردَوسِ وَرَوى أيضاً عنْ علىِّ ابنِ أبى طالبٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ ما مِنْ مائِدَةٍ وضِعَتْ فحَضَرَ عليها مَنْ إسمُهُ محمدٌ أوْ أحمدٌ إلاَّ قدسَ اللهُ ذلكَ المنزلَ كلَّ يومٍ مرَّتينِ انتهى قَسطلانى على متنِ البُردَةِ عندَ قولِهِ

فانَّ لى ذِمَّةً مِنهُ بتسميتى محمدًا وهوَ أوفى الخلقِ بالذمَمِ

(ذِكرُ إرضاعِهِ ﷺ)

أرضعتهُ أمُّهُ بعدَ ولادَتِهِ سبعةَ أيامٍ ثمَّ أرضعتهُ ثُوَيبَةُ جاريةُ عمِّهِ أبى لهبٍ وقدْ أعتقها حينَ بشَّرتهُ بولادتهِ ﷺ فَجُوزِىَ بتخفيفِ العذابِ عنهُ يومَ الإثنينِ وأرضعتهُ ﷺ ثلاثُ نِسوَةٍ أبكارٍ منْ بنى سُلَيمٍ أخرجنَ ثديهُن فوَضعنها فى فمِهِ ﷺ فنزَلَ اللبنُ وَدرَّ فِيهِ وَهؤلاءِ النسوَةُ كُنَّ أبكارًا

كلٌّ واحدةٍ تُسمَّى عاتكةَ فلذلكَ قالَ أنا ابنُ العواتكِ مِنْ سُليمٍ وأرضعتْه خولةُ بنتُ المُنذرِ وأمُّ أيمنَ وقيلَ إنّها حاضنتهُ لا مُرضعتُه ولمْ ترضعهُ ﷺ امرأةٌ إلا أسلمتْ وأرضعتْه حليمةُ بنتُ أبي ذُؤيبٍ منْ بنى سعْدٍ ومنْ سعادتِها توفيقُها للإسلامِ هىَ وزوجُها وبنوها وكانَ مِنْ أخلاقِ القومِ إنهُمْ اذا وُلِدَ لهمْ مولودٌ يلتمسُونَ له مُرضعةً وتُربّيهِ وكانَ عِندهمْ عارٌ أنْ ترضعَ المرأةَ ولدَها وكانَ كلٌّ منْ طلبتْ ترضعهُ تقولُ آمنةُ لها أمرُهُ الى جدِّهِ فلمَّا كانَ فى بعضِ الليالى وآمنةُ فى مرقدِها ورسولُ اللهِ ﷺ بجانبِها وكانَ لا يرقدُ فى الليلِ الا يسيراً اذْ هتفَ بآمنةَ هاتفٌ تسمعهُ ولا ترى شخصهُ « يا أيَّتُها العاليةِ العظيمةُ » يا آمنةُ الفاضلةُ الكريمةَ . لا زورَ فى قولى ولا نميمةَ . انْ كانتْ مرضعةُ محمدٍ مِنْ بنى سعْدٍ تكنِ المُرضعةُ حليمةً . فكانتْ آمنةُ كلما جاءتِ امرأةٌ لرِضاعِهِ تسألُها عنْ اسمِها وقبيلتِها فانْ لمْ تقلْ لها ما سمعتْهُ مِنَ الهاتفِ تصرِفُها عنها قالتْ حليمةُ خرجْتُ فى نِسوةٍ منْ بنى سعْدٍ عشرةً يطلبنَ الرُّضعا فى سنةٍ ذاتَ جدْبٍ وقحطٍ ولمْ يكنْ عندنا ما نأكلهُ وكنتُ فى شدةٍ مِنَ الجوعِ وما ننامُ ليلنا مِنْ بكاءِ

صبيانِنا من الجوعِ وما في بيتِ أحدِنا ما يُغنيهم ولكنْ نرجوا الغيثَ والفرجَ وكانت تمضي علىَّ الأيامُ ولم أُطعمُ فيها بطعامٍ وكنتُ ألتوي من الجوعِ كما تلتوي الحيّةُ وكانتْ نساءُ بني سعدٍ في ضيقٍ من العيشِ وكنتُ أرى بطونَهنَّ لاصقاتٍ بظهورِهنَّ إذا بكتْ إحداهُنَّ لا تكادُ الدمعةُ تخرجُ من عينِها من شدَّةِ اليبوسةِ وضيقِ الزمانِ حتى كادتِ العربُ تُهلكُ بأسرِها قالتْ حليمةُ فجاءتني النسوةُ وقلْنَ لي يا بنتَ أبي ذُؤيبٍ تخرُجي معنا نلتمسُ الرُّضعاءَ قلتُ حتى أخبرُ بعلي فخرجتِ النسوةُ فقلتُ لصاحبِ الحارثِ ابنِ عبدِ العُزّى ألا تحملُني على هذهِ الأتانِ حتى نمضيَ معَ النّاسِ إلى مكةَ نلتمسُ مولودًا نُرضعُهُ فقالَ أما واللهِ يا حليمةُ إنَّكِ لتحملي الأتانِ ولا تحملكِ هيَ وأنّى تلحقي بالنّاسِ لكنْ اعلمي يا حليمةُ أنَّ اللهَ تعالى يرزُقنا ولا ينسانا من فضلِهِ قالَ فوطأ لها الأتانَ وركبتْ حليمةُ وأخذتْ ولدِها ضمرةَ بينَ يديها ثمَّ سارتْ بها الأتانُ وهيَ تدبُّ كأنَّها فقلَعُ رجلها من وحلٍ فأتاها رجلٌ كالنخلةِ الباسقةِ وبيدِهِ حربةٌ مُذهّبةٌ فأقبلَ ووكزَ الأتانَ وقالَ سيري يا مُرضعةَ الصّادقِ الأمينِ وحبيبِ ربِّ العالمين وسيِّدِ الأوّلينَ والآخرينَ وخاتمِ النَّبيينَ قالتْ حليمةُ فصارتِ الأتانُ تُسابقُ الخيلَ

العتاق حتى وصلت مكة فرأيت صواحباتي ما منهن امرأة إلا وأخذت صبياً قالت حليمة وأقبلت على بعلي وقلت له إني داخلة إلى مكة ألتمس الرضعاء فكن مكانك حتى أرجع إليك وكان عبد المطلب لما خرج مع الناس وعلموا أن عنده مولوداً جعل كل يقبل على عبد المطلب ويسأله عن ولده فيقول إن الغلام الذي عندي يتيم فهل فيكم مرضعة له فيقولون أليس هو ولدك فيقول لا فيعرضون عنه ويتركونه فلما أتت حليمة وسألت عن الرضعاء فقالوا لم يبق في الرضعاء إلا صبي عند عبد المطلب فأقبلت إليه وقالت له أنعمت صباحاً وزدت فلاحاً ونجاحاً يا سيد عبد مناف ومعدن الجود والإنصاف إني امرأة من بني سعد جال على الزمان . ورماني بريب الحدثان وقد أتتنا سنون أذابت الشحم وأذهبت اللحم وأهلكت المواشي في مراعيها وقد قصدتك وأنت معدن الكرم فهل عندك فرج تسر به المهج فقال عبد المطلب الصدق أوفى وسيلة عندي غلام لم تلد النساء أحسن منه ولا أجمل ولا أطهر ولا أنور منه إلا أنه غلام يتيم من أبيه فان أردت دفعته إليك لترضعيه فلما سمعت حليمة كلامه أمسكت عن خطابه وقالت ياسيدي معي صاحب لي وهو المالك علي ولا أقطع أمراً دونه وها أنا راجعة اليه وأخبره فان أمرني

بأخذهِ فعلتُ وإنْ منعني امتنعتُ فأقبلت راجعةً إلى بعلِها .
والدمعة تسقطُ من عينها حتى أتتْ إليهِ فقالَ لها وما وراءكِ
فأخبرتهُ بما قاله عبدُ المطلبِ وأنهُ قالَ لي إنهُ غلامٌ يتيمٌ لا أبَ لهُ
إلا أنهُ ذكرَ لي أنه ولدٌ جميلُ الطلعةِ مُباركُ الغُرَّةِ مليحُ
الأوصافِ ولمْ آخذهُ خوفاً مِنْ لومِكَ عليَّ فماذا تأمرُني فقالَ لها
ويحكِ ما تفعلي بيتيمٍ لا أبَ لهُ وما تفعلي بحُسنِهِ وجمالِهِ وإنَّا
نُريدُ كافله ورفدهُ ثمَّ قالَ لها اذهبي لاأمَّ لكِ ترجعُ نساءُ بني سعدٍ
بالإنعامِ والرِّفدِ والكِسوةِ وترجعي أنتِ بغلامٍ يتيمٍ لا كانَ ذلكَ
أبداً فأعرضتْ عنهُ وبقيَ قلبها مُعلقاً بكلامِ عبدِ المطلبِ وما ذكرهُ
لها مِنْ جمالِ رسولِ الله ﷺ قالتْ فلما أمسى الناسُ أخذوا في تهيُّءِ
رِحالِهمْ وقدْ عزموا على الرَّجعةِ إلى أوطانِهمْ فلمَّا نظرتْ حليمةُ
إلى ذلكَ اسبلتْ عبرتها وأبدتْ حُرقتها فقالَ لها بعلُها
ما يُبكيكِ فقالتْ ترجعُ نساءُ بني سعدٍ بالرُّضعاءِ وأنا ارجعُ
بالخيبةِ فقالَ لها وما الذي تُريدينهُ قالتْ آخذُ الغُلامَ اليتيمِ عسى
اللهُ أنْ يُسعدَني بهِ فقالَ لها افعلي ما بدَالكِ فخرجتْ حليمةُ مِنْ
وقتها مُسرعةً وأقبلَ عبدُ المطلبِ إلى آمنةَ وذكرَ لها ما كانَ مِنْ
حليمةَ ومنه وسماها لها فعرفتها آمنةُ لما سبقَ لها مِنْ كلامِ
الهاتف فقالتْ آمنةَ إني لا أريدُ غيرَها فخرج عبدُ المطلبِ مُسرعاً

يريدُها فصادفها في الطّريق فنظرت اليه وهرولت وأقبلت إليه وقالت له أيها السيّدُ أظنك عبدَ المطلب قال لها وأظنك حليمة قالت أجل فقال لها ما أردت قالت ولدك فامض وادفعه إلىّ قالَ عبدِ المطلبِ إذاً واللهِ سعدت واللهِ لا يرجعُ أحدٌ من قومك أغنى منك فارجعى بولدك محمدٍ ولترين من بركاته ما يعمك وقومك فقالت يا سيّداه أسرع بنا إليه. فلقد زدتني قلقاً عليه. وأقبلت حليمةُ تحدثه بما سمعت من الهاتفِ وما رأت في طريقها. قالَ عبدُ المطلبِ هوَ صاحبك لا شكَّ وأنتِ صاحبته ثم دخلَ بها عبدُ المطلبِ إلى منزل آمنةَ قالت حليمة فدخلتُ فرأيتَ البيتَ يشرقُ من نورِ محمدٍ ﷺ ورأيتُ آمنةَ كالعروسِ قالَ فناولته آمنةُ لحليمةَ فأخذته وخرجت به وهيَ لا تصدّقُ بخروجها وهوَ معها. فسارت حليمةُ وأنوارُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم بلغت عنانَ السماءِ وجعلت لا تمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ ولا مدرٍ ولا جبلٍ إلا ويناديها هنيئاً لكِ يا حليمةُ بما وصلَ اليكِ وأنتِ منَ اللهِ بمكانٍ عظيمٍ وأنشدَ بعضهم شعراً.

بشراكِ يا حليمه ... بالدُّرَّةِ اليتيمه

قومي أرضعي المُفدّا ... واسعى اليهِ قصداً

تَرينَ مِنهُ سَعْداً وَنِعمَةً عَظِيمهْ
هذَا اليَتيمُ يُعطَى عنهُ الإلهُ يَرْضَى
فرَاقبيهِ يَقظَى فَقُرْبه غَنِيمَهْ
اللهُ قدْ حبَاكِ بالفَضلِ وَاجتبَاكِ
بحقِّ مَنْ أعطَاكْ كُونى لهُ خَدِيمَة
قومى أرْضعيهِ رفقاً لطفاً بهِ ورَفقاً
تَرِينَ منهُ حقاً عوَاطفاً رَحيمَهْ
مكتُوبٌ فى الصحيفه صِفاتهُ لطِيفهْ
آثارُهُ شريفَه أنوَارُهُ عميمَهْ
اسعى على الجفونِ اليهِ بالسُّكون
حقاً وَلا تكُونى لفَضلِه عديمَهْ
هَذَا النَّبي التِّهَامى سماهُ ذُو الاكرَام
بأحسنِ الأسَامِى فى كُتْبهِ القَديمهْ
آيَاتهُ عَليَّه أنوَارُهُ جَليَّه
صِفَاتهُ رَضِيَّه أخلاقُهُ عظِيمَه
قومِى إلى رِضَاهُ اتجتَبى جَنَاهُ
وتُدْرِكى هُدَاهُ وتغنَمى غَنيمَهْ
ارْوِى لى الصَّحيحِ عَنْ وَجهِهِ المَليحِ

عساكِ تستريحي مِنْ عيشةٍ ذميمه
هذا الذي تعلاّ وشرَّفَ المُصلاّ
ما في الوجودِ أصلاً أعزُّ منهُ قيمه
قولي لهُ الشفاعة شرفاً لهُ وطاعهْ
شُكراً بذي الرضاعه قومي افعلي وليمهْ

قالت حليمة فلمّا رجعتُ بهِ إلى رحلي وضعتُهُ في حجري وناولتهُ ثديي فصارَ فيهِ منَ اللبنِ شيءٌ كثيرٌ حتى روىَ فعرضتُ عليهِ الآخرَ فأباهُ فسقيتُهُ لولدي ضمرةَ وكانَ هذا دائماً حالهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم يشربُ اليمينَ ويُبقي الآخرَ لأخيهِ وإذا عرضتهُ عليهِ لمْ يشربْ منهُ ثم نامَ أخوهُ ضمرةَ ولمْ ينم قبلَ ذلكَ معي منَ الجوعِ ثمَّ سرنا وركبتُ أتاني وحملتهُ معي عليها فواللهِ لقدْ قطعتْ جميعَ الركبِ وسارتْ سيراً لا يقدرُ عليهِ شيءٌ منْ حمُرهمْ حتى إنَّ صويحباتي يقلنَ لي يا بنتَ ابي ذؤيبٍ ويحكِ أرفقي في السيرِ أليستْ هذهِ أتانُكِ التي كنتِ عليها فأقولُ لهنَّ نعمْ واللهِ انها لهيَ فيقلنَ واللهِ انَّ شأنكَ عظيمٌ قالتْ حليمةُ فكُنتُ أسمعُ أتاني تنطقُ وتقولُ انَّ لي لشأناً بعثني اللهُ بعدَ موتي وردَّ لي سمني بعدَ هزالي ويحكُنَّ يا نساءَ بني سعدٍ انكنَّ افي غفلةٍ وهلْ

تذرين من على ظهري . ان على ظهري خيار الأولين والآخرين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين وصارت الأتان لا تخطو خطوة الا نبت العشب من تحت حوافرها قالت حليمة وسبقت الأتان الدواب كلها الى أن غبت عن القوم فلما غبت عنهم واذا بهاتف يقول ولا أرى شخصه شعراً .

ان السعادة قد أتت لحليمة بمحمد شرف الأنام جميعا
كانت أحق بها وكانت أهلها إذ جاءها خير الأنام رضيعا
فتنال من بركاته وتكون من بين العشائر قدرها مرفوعا
وتسود فى الدنيا بطلعة وجهه ويكون فى يوم المعاد شفيعا

قالت فزدت بذلك فرحا وسروراً قالت ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمى ترجع على حين قدمنا شباعا ابنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان فى الحى قطرة لبن حتى كان القوم يقولون لرعاتهم ويلكم ألا ترعون حيث يرعى راعى بنت أبى ذؤيب فترجع أغنامها شباعا وترجع أغنامكم جياعا ما تبض

أ / شعبان صبره

بقطرةٍ من اللبنِ فلم نزلْ نعرفُ من اللهِ الخيرَ والزيادةَ ببركتِهِ
قالتْ وأتاني نساءُ بني سعدٍ ينظرْنَ اليهِ بينَ يديَّ ووجهُهُ كالبدرِ
ليلةَ تمامِهِ وأنوارُهُ قد ملأتِ الأقطارْ قلْنَ ما رجعتْ منْ
قومِنا امرأةٌ أغبطَ ولا أسعدَ منْ حليمةَ ولا ولدَ النساءُ أكملَ
ولا أجملَ ولا أبهى ولاأحسنَ منْ رضيعِها ثمّ إنّ اللهَ تعالى أنزلَ
البركةَ لهُمْ جميعاً وصارتِ الأرضُ مُعْشِبةً حينَ توسَّلوا بهِ
وأعينُهُمْ بالماءِ مُنفجرةٌ وتتابعتْ عليهمُ الخيراتُ ببركةِ
صاحبِ المُعْجزاتِ وحبيبِ ربّ الأرضِ والسمواتِ وألقى اللهُ
محبّتهُ في قلوبهمْ جميعاً وكانَ إذا اعتلَّ أحدُهمْ بعلةٍ يأخذُ كفَّ
رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ويمسحُ بها بدنهُ فيُشفى لوقتِهِ
وإذا مُنِعوا منَ المطرِ يحملونهُ ويستسقونَ بهِ فيأتيهمُ المطرُ
وكثرَ اللهُ أموالهمْ وكانَ أكثرَهمْ خيراً ويساراً حليمةُ حتى إنَّ
كثيراً منْ قومِها عاشوا في فضلِها وظلِّها وزالَ البُؤسُ
والشقا كلُّ ذلكَ ببركةِ صاحبِ النُّبوّةِ والتُّقى الذي لمْ يزلِ
النُّورُ في وجهِهِ مُشرِقاً وشذاهُ بالمسكِ عبِقاً وكفُّهُ بالجودِ
مُتدفقاً . قالتْ حليمةُ كنتُ في رضاعِهِ كلَّ يومٍ في خيرٍ وبركةٍ
وأحلفُ ما غسلتُ لهُ ثوباً ولا رأيتُ لهُ بولاً ولا غائطاً إلاَّ
نضارةً ونظافةً على ممرّ الأيامِ وكانتْ له في الليلِ والنّهارِ نومةٌ

وَلا يعود إلى النَّوْمِ إلاَّ إلى مِثلِهَا فلمَّا كَبُرَ وَنشَا وَتكلَّمَ كنتُ أتعَجَّبُ مِنْ كلامِهِ على صِغَرِ سِنِّهِ وما يأتى بهِ مِنْ حِكمةٍ وَشبَّ شبَابًا لمْ أرَى مِثلهُ كانَ يَشُبُّ فى الشهرِ شبَابَ الصبيِّ فى السنَةِ وَعنهَا أنهُ لما بلغَ شهرَينِ كانَ يمشى إلى كلِّ جانبٍ . وَلمَا بلغَ ثمَانيَةَ أشهُرٍ كانَ يتكلَّمُ بالكلامِ الفَصيحِ . وَلما بلغَ عشرةَ أشهُرٍ كانَ يَرمى بالسِّهَامِ معَ الصبيَانِ . وَعنها أنها قالتْ إنَّهُ لفى حِجرِى يومًا إذْ مرَّتْ غُنيماتى فأقبلتْ وَاحدَةٌ مِنهُن حتى سَجدَتْ لهُ وَقبَّلتْ رَأسَهُ ثمَّ ذَهبَتْ إلى صُوَيحبَاتها وَكذا غيرُها وكذلكَ سجدَتْ لهُ الغنَمُ وَالجمَالُ بعدَ البعثَةِ . وَفى رِوَايةٍ عنهَا أنَّ أوَّلَ كلامٍ تكلَّمَ بهِ عندَها فى بعضِ الليَالى لا إلهَ إلاَّ اللهُ قدُّوساً قدُّوساً نامَتِ العُيونُ وَالرَّحمَنُ لا تأخذُهُ سِنَةٌ وَلا نومٌ . وكان لا يمسُّ شيئاً إلاَّ قالَ بسمِ اللهِ قالتْ حليمَةُ وَكانَ يخرُجُ معَ غِلمانِ الحىِّ فاذا رآهمْ يلعبُونَ تنَحَّى عنهمْ ويُعرِضُ عنهمْ فلمَّا اشتَدَّ حيلهُ وَقوِىَ أقبَلَ على حَليمةَ وَقالَ لها يا أماهُ ما بالُ إخوتى لمْ أرَهمْ فى الحىِّ نهَارًا قالتْ يا بنىَّ فدَيتُكَ بنَفسى إنهُمْ يخرُجونَ معَ الأغنَامِ التى رَزَقنَا اللهُ إياها ببركتِكَ يرعونهَا فاذا كانَ الليلُ رَجعُوا بهَا الينَا فقالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسلمْ

أ / شعبان صبره

ما أنصفت بيني وبين إخوتي أقعد أنا بالحي أتبرد وآكل وأستظل بالظل وأشرب الألبان والماء الزلال وإخوتي يلحقهم حر الهواجر ويلفح وجوههم حر الشمس فقالت يا بني إنما أفعل ذلك خشية عليك من الأعداء والحواسد وأخشى عليك أيضاً من سالك الطريق وعابر السبيل أن يروا جمالك وأنوارك فلا يصبرون عنك دون أن يحملوك ويذهبوا بك فيحزنوني عليك والثانية أخشى إن جرى ذلك تزول عنا البركات والسعادات والثالثة يطالبني بك جدك عبد المطلب فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا أماه نعم الحافظ هو الله أسلميني إليه وتوكلي عليه فهو نعم المولى ونعم النصير وإذا كان الله حافظني لو اجتمع أهل الأرض لما وصلوا إلى قالت حليمة وقد دهشت من كلامه فما الذي تريده فقال لها أذهب مع إخوتي وأكون معهم في المرعى وأشاركهم في الشدة والرخاء قالت له حباً وكرامة فلما كان من الغد أتت إليه فدهنته وكحلته وطيبته وألبسته ثيابه وشدت وسطه وأنعلته بنعله وناولته عصا ومزوداً وخرج مع إخوته وهو كالبدر ليلة تمامه. قالت فلما نظرت إليه وقد ولى جعلت تدعوا له وتقول شعراً:

يارب بارك فى الغلام القائل محمد كمثل ليث قابل
فرده لى سالماً فى العاجل حتى يكون قاضى المحافل

قال وغاب عن عينيها فلما مضى النهار وقرب المساء خرجت حليمة وإبنها من الحى لاستقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست على الطريق التى تمر عليها الرعاة بالأغنام فمرت الأغنام ورسول الله صلى الله عليه وسلم وراء أغنامه وقد دخل الظلام ونور وجهه قد جلا الغياهب ونور ما حوله قال ونظرت حليمة إلى الأغنام وهى تعطف عليه وتتبرك به بين يديه وتلوذ به وتمسح عليه بظهرها اجلالاً وتعظيماً وقد قيل فى المعنى شعراً :

بأغنامه سار الحبيب إلى المرعى
فياحسنه راع فؤادى له يرعى
ولم أرى أحلى من شمائله وقد تحزم للمرعى غداً ذاهباً يرعى
فما أحسن الأغنام وهو يسوقها
لقد آنس الصحرا وقد أوحش الربعا
عيونك يا راعى الحمى فتكت بنا
فقوم بها قتلى وقوم بها صرعى
وما أنت راع للمواشى وانما



بشرعك ترعى الناس والأصل والفرعا

(قالت حليمة) وكان فى الغنم شاة رماها ابنى حمزة بحجر فأصابها فكسر ساقها فجعلت هذه الشاة تلوذ به صلى الله عليه وسلم كالشاكية اليه فلما نظر الى ساقها قبض بيده الشريفة عليه فبرأت من وقتها ثم أطلق يده عنها فقامت كالغزال فى الركض وجبر كسرها قالت حليمة فلما نظرت الى ذلك قلت فى نفسى بأبى وأمى ما أبركك من مولود وما أعظم شأنك ثم وصل الى فدنوت منه وقبلته ودنا أخوه فقبلته ثم ان حليمة قالت لولدها حمزة ياولدى كيف رأيت أخاك اليوم قال يا أماه رأيت عجباً قالت وما الذى رأيته يا ولدى قال والله يا أماه ما من حجر ولا شجر ولا مدر ولا جبل الا وكان يتطاول اليه ويسلم عليه شفاهاً ويكلمه عياناً وما كان يطأ برجله موضعاً الا وينبت به العشب ويخضر من ساعته وأما الأغنام فتطيعه ان أمرها بالوقوف وقفت وان أمرها بالسير سارت وتسمع قوله وأعظم من ذلك أننا دخلنا وادى الوحوش وقد حذرناه منه فأبى إلا الدخول خفنا وقلنا قد ساقنا الى الهلاك فلما اخترقنا ذلك الوادى فاذا نحن بسبع وجهه كالمجن وخده كالمسن وقد فتح فمه فبانت أنيابه كالخناجر وعيناه

كقبس النار يكاد أن يطير منها الشرار وحمل علينا فلما قاربنا ونظر محمد صلى الله عليه وسلم نكص على عقبيه ورمى نفسه إلى الأرض وجعل يمرغ خده على التراب ونطق وتكلم بكلام الآدميين وقال السلام عليك يا محمد فمشى اليه أخى محمد غير مكروب منه ثم خاطبه فى أذنه كالمعاتب له والسبع منكس رأسه ثم أشار اليه فولى السبع كالهارب فقلت له يا أخى ما الذى قلت له حتى مضى هارباً فقال صلى الله عليه وسلم قلت له أن لاتقرب هذا الوادى ولا يجوز بأرضكم أبداً فأجابنى وولى هارباً فقالت حليمة يا بنى اكتم هذا عن قومك فان محمد عبد كريم على ربه قالت حليمة فرأيت الأغنام تشخب لبناً وزاد سمنها وعادت كالعرائس وصار صلى الله عليه وسلم كل يوم يخرج مع إخوته فما من يوم يمر إلا ويرون له صلى الله عليه وسلم آيات وبراهين وتحدث إخوته بذلك لأمهم حليمة وأبيهم الحارث فيزداد عندهم صلى الله عليه وسلم إعظاماً وإجلالاً وقدراً عالياً وفخراً. (قالت حليمة). فلما كان فى بعض الليالى رأيت فى منامى ما أفزعنى فعند ذلك أيقظت بعلى وقلت رأيت فى منامى رؤيا لولدى محمد أفزعتنى وإنى أرى أرده إلى أهله فانى أخشى أن يطرقه بأس فى بيتنا فتعظم قصتنا فقال لها ما رأيت قالت رأيت كأن ولدى محمداً صلى الله عليه وسلم قد خرج مع أغنامه كسائر أيامه إذ

تعرّضَ لهُ رجلانِ عظيمانِ لم أرَ أحسنَ ولا أطيبَ رائحةً منهما وعليهما ثيابُ السُّندُسِ فنظرتُ اليهما وقدْ أتيا اليهِ فأخرجَ أحدُهما مُديةً ماضيةً فشقَّ بها منْ صدْرِهِ إلى سُرَّتِه وكشفَ عنْ علائقهِ ثمَّ أخرجَ قلبَهُ ولمْ أدرِ ما فُعِلَ بهِ بعدَ ذلِكَ ثمَّ انتبهتُ فى هلعٍ منْ شدّةِ ما رأيتُ وأنتَ تعلمُ أنَّ جدَّهُ قاضِىَ الحرَمِ ولا نأمنُ أنْ يُطالبَنا بهِ إنْ حدثَ لهُ حادِثٌ عِندَنا فقالَ الحارِثُ إن محمدًا له ربٌّ يحميهِ منْ سائرِ الأذى ولقدْ رأيتُ ما ظهرَ مِنْ بركاتِهِ وما كانَ مِنْ أمرِ السَّبعِ وإنَّ لهُ أواناً وزماناً فاصرِفى عنكِ هذا الكلامِ فانهُ أضغاثُ أحلام (قالتْ حليمةُ) فلما كانَ عِندَ الصباحِ قامَ رسولُ اللهِ ﷺ فخرجَ معَ إخوتِهِ على عادَتهِ فلمَّا انتصفَ النهارُ أتانى أخوهُ فزِعاً وجبينُهُ يرشحُ عرَقاً وهوَ يقولُ واحمداهُ يا أبتِ يا أمى محمدٌ أخى فما أراكما تلحقانهِ الا ميتاً فقلتُ وما قِصتُكما قالَ بينما نحنُ صدّرنا الأغنامَ ووردْنا الماءَ فاشتدَّ علينا الحرُّ فقصدْنا مسيلَ الوادِى نستظلُّ بشجرةٍ هناكَ فلمَّا جلسنا وأخرجنا فضلاتِ الازْوِدادِ لنأكلَ إذْ أشرفَ علينا رجلانِ عظيمانِ بربانِ فأتيا إلى أخينا وأقاماهُ مِنْ بيننا وأبعداهُ عنّا ثمّ أضجعاهُ وشقّا صدْرَهُ الى عانتهِ ونحنُ ننظرُ اليهِ ولمْ ندْرِ ما فعِلَ بهِ بعدَ ذلكَ (قالتْ حليمةُ)

وَقدْ طَاشَ عَقلى وَذَهبَ لُبِى وَخرَجتُ أنا وَأبوهُ الحارِثُ نُسابِقُ وَنسعى سَعياً فاذا نحنُ بهِ جَالِسٌ يتبَسَّمُ فى خيرٍ وَسلامةٍ قالتْ فلمَّا رَأيتُهُ رَميتُ نفسِى عليهِ وَجعلتَّ أُقبِّلهُ وَأكشِفُ بَطنَهُ وَسُرَّتهُ وَلمْ أرَ فى بَطنِهِ جرْحاً وَلا خدْشاً فظَننتُ أن وَلدِى ضمْرَةَ كاذِبٌ ثمَّ قلتُ يَاوَلدِى ما الذِى نزَلَ بكَ صرَفَ اللهُ عنكَ الأذَى وَحجَبكَ عنْ طرُقِ البَلا قالَ خيراً يا أمَّاهُ كنتُ معَ إخوَتى نرْتَعُ وَنلعبُ . إذْ جلسنَا نأكلُ شيئاً إذْ أتانَا رَجلانِ بهيَّانِ فمَسكانى بيَدِى وَمضيَا بى إلى ناحِيَةٍ ثمَّ أضجعَانى وَشقَّ أحدُهما صَدْرِى وأخرَجَ منهُ قلبِى وَأخرَجَ مِنْ قلبِى نكتةً سوْدَاءَ وَقالَ هذَا حظُّ الشيطَانِ منكَ ياحبيبَ اللهِ ثمَّ تقَدَّمَ الآخرُ وَقدَّمَ طِشتاً مِنَ الذهبِ مملوءً ثلجاً وَإبرِيقاً مِنْ فِضَّةٍ مملوءًا ماءً فأخرَجَ أحشَاىَ معَ قلبِى فغَسلهما بذَلكَ الثَّلجِ ثمَّ غسلهُما ثانيا بذَلِكَ الماءِ الذِى فى الابريقِ ثمَّ رَدَّهما إلى مكانهمَا ثمَّ قالَ الأوَّلُ للآخرِ تأخَّرْ فقَدْ فعَلتَ ما أُمِرْتَ بهِ فتَأخَّرَ وَتقَدَّمَ الآخرُ فأخرَجَ خِتما عظِيما مُنيراً خَتمَ بهِ قلبِى ثمَّ مسَحَ على ما شُقَّ مِنْ جوْفى فالتَحَمَ مِنْ وَقتِهِ وَلمْ أجدْ ألمًا وَلاَ وَجعًا وقدْ شق صَدْرُهُ الشَّرِيفُ مرَّتين غيرَ هذهِ المرَّة مرَّةً عنْدَ مجيءِ الوَحيِ وَمرَّةً عِنْدَ المِعرَاجِ قالتْ حَليمةُ لبَعلِهَا

قدْ أمرْتُكَ بحملهِ ونقلهِ إلى مكةَ لأهلهِ فأبيتَ والآنَ أخشى عليهِ منْ عدوٍّ يُصيبهُ فحملناهُ وقدمنا بهِ مكةَ وهوَ ابن خمسِ سنينَ وقيلَ أربعِ سنينَ (قالتْ حليمةُ) فوضعتُ ولدى وانطلقتُ لأقضى حاجتى وأُصلحُ شأنى فالتفتُّ فلمْ أرَ ولدِى محمداً صلى اللهُ عليهِ وسلمْ وضلَّ منى فى أعالى مكةَ فأتيتُ جدَّهُ عبدُ المطلبِ وقلتُ لهُ إنى فقدتُ إبنى محمداً وضلَّ منى فواللهِ ما أدرِى أينَ ذهبَ ولا أينَ هوَ فقامَ عبدُ المطلبِ نحوَ الكعبةِ وتعلَّقَ بأستارِها وصارَ يدعوا اللهَ أنْ يرُدَّهُ عليهِ فسمعَ هاتفا منَ السماءِ يقولُ أيُّها النَّاسُ لا تضجُّوا فانَّ لمحمَّدٍ ربًا يحميهِ ولا يُضيعهُ فقالَ عبدُ المطلبِ مَنْ لنا بهِ فقالَ إنَّهُ بوادِى تهامةَ تحتَ الشجرةِ اليُّمنى . فركبَ عبدُ المطلبِ نحوهُّ وتبعهُ ورقةَ بنُ نوفلَ فوجدهُ ﷺ تحتَ الشَّجرةِ يجْذبُ غُصنًا منْ أغصانِها فقالَ لهُ جدُّهُ منْ أنتَ ياغلامْ قالَ محمد بنُ عبدِ المطَّلبِ فقالَ لهُ وأنا جدُّكَ فديتُكَ بنفسى واحتملهُ وعانقهُ وقبَّلَ ما بينَ عينيهِ وهوَ يبكى ثمَّ رجعَ بهِ إلى مكةَ وهوَ معهُ على فرسِهِ وعملَ وليمةً ونحرَ الشاةَ والبقرةَ وأطعمَ أهلَ مكةَ . (قالتْ حليمةُ) . فلمَّا دخلنا على أمهِ لمْ تتمالكْ حتى رمتْ نفسها عليهِ وقالتْ لى ما أقدمكِ بهِ ولقدْ

كنتِ حريصةً عليهِ وعلى مكثهِ عندكِ (قالتْ حليمةُ) قدْ بلّغهُ اللهُ إليكمْ سالماً وقضيتُ الذى كانَ علىَّ وخفتُ عليهِ منَ الأعداءِ وادّيتهُ إليكِ كما تحبّى قالتْ ما هذا شأنُكِ فاصدقينى خبركِ . (قالتْ حليمةُ) . فلمْ تدعنى حتى أخبرتُها فقالتْ لى دعيهِ عنكِ وانطلقى وعنْ شيدةً وعنْ حليمةَ قالتْ كنتُ لا أدعهُ يذهبُ مكاناً بعيداً فغفلتُ عنهُ يوماً فى الظهيرةِ فخرجتُ أطلبهُ فوجدتهُ معَ أختهِ الشيماءِ وكانتْ تحضنهُ معَ أمِّها فقلتُ لها لمَ أتيتِ بهِ فى هذا الحرِّ فقالتْ يا أمّاهُ ما وجد أخى حراً رأيتُ غمامةً تظلُّ عليهِ إذا وقفَ وقفتْ وإذا سارَ سارتْ معهُ حتى انتهى إلى هذا الموضعِ ثمَّ رجعتْ بعدَ أنَّ جهّزها عبدُ المطّلبِ بأحسنِ جهازٍ ثمَّ فارقتهُ وتركتهُ عندَ أمِّهِ وجدِّهِ ورجعتْ على قومِها باكيةً على فراقهِ ﷺ قالَ ووفدتْ على النّبىِّ ﷺ بعدَ تزويجهِ تشكوا إليهِ ضيقَ العيشِ فأعطاها عشرين رأساً منَ الغنمِ وبكراتٍ ووفدتْ عليهِ يومَ حنينٍ فبسطَ لها رداءهُ وجلس معها فجاءَ زوجُها فأجلسهُ بجانبها ثمَّ جاءَ أخوهُ منَ الرّضاعِ فأجلسهُ بينهما وجلسَ هوَ ﷺ على الأرضِ قالَ وأخذتْ أختهُ منَ الرِّضاعِ فى غزوةِ هوازنَ فلمّا عرفها فى السّبىِ أكرمها وأجلسها على

رِدائِهِ ﷺ ولما بلغَ النبيُّ ﷺ ستَّ سنينَ ماتت أمُّهُ وَوفاتها كانتْ بالأبواءِ وَهوَ محلٌّ بينَ مكةَ والمدينةِ وَرُوىَ أنَّ أمَّه آمِنةَ ذَهبتْ بهِ إلى المدينةِ لزيارَةِ أخوالهِ فمكثتْ عِندَهُمْ شهراً وَمرِضتْ فى الطَّريقِ وكانت معَها أمُّ أيمَنَ برَكةُ الحبشيَّة التى وَرثَهَا صلى اللهُ عليهِ وسلمَ منْ أبيهِ عبدِ اللهِ فلمَّا ماتتْ أمُّهُ حضَنته برَكةُ الحبشيَّة وَجاءَتْ بهِ إلى جدِّهِ عبدِ المُطَّلبِ بعْدَ خمسةِ أيامٍ من مَوْتِ أمِّه آمنةَ فضمَّهُ إليْهِ وَرَقَّ إليْهِ رِقَّةً لمْ يرق مثلَها أحدٌ على وَلدِهِ وَجاءَ أنَّهُ صلى اللهُ عليْهِ وسلَّمْ لما مرَّ بالأبواءِ فى عُمْرَةِ الحديبيَّةِ فقَالَ إنَّ اللهَ تعَالى أذِنَ لمحمَّدٍ فى زيارَةِ قبرِ أمهِ فزَارَهُ وأصلحَهُ وَبكى عِنْدَهُ وَبكى النَّاس لبُكائهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلم فقِيلَ لهُ فى ذَلكَ فقَالَ أدْرَكتْنى رحمتهَا فبَكيتْ وَعنْ عائشةَ رَضىَ اللهُ عنها أنهَا قالتْ لماحج بنَا رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلمْ حُجةَ الوَدَاعِ فمَرَّ بنَا على عقبَةِ الحجونِ وهوَ باكٍ حزينٌ مغتمٌّ فبَكيْتُ لبُكائهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمْ ثمَّ طفِق يقولُ استمسكى يا حميرا فاستندْتُ إلى جانبِ البَعيرِ فمَكثتُ طويلاً ثمَّ رَدَّ إلىَّ وَهوَ فرِحٌ مُستبشِر فقُلتُ لهُ بأبي وَأمى وَأنتَ يا رَسولَ اللهِ نزلتُ منْ عندِى وَأنتَ باكٍ حزينٌ مُغتمٌّ فبَكيْتُ لبُكائِكَ ثمَّ إنكَ عُدْتَ وَأنتَ فرِحٌ

مُستبشرٌ لِمَ ذلكَ فقالَ ذَهبتُ إلى قبرِ أمى فسئلتُ ربِّى أن يُحييها فأُحيت وآمنت بى وردَّها اللهُ تعالى وكذلكَ أبوهُ أيضاً ثمَّ بعدَ موتِ أُمهِ آمنةَ اشتغلَ بكفالتهِ جدُّهُ عبدُ المطَّلبِ فكانَ يبرُّهُ ويُكرِمه ويُحبُّهُ أكثرَ من أولادِهِ وكانَ إذا أتى بطعامٍ أجلسَ المُصطفى صلى اللهُ عليهِ وسلمْ إلى جنبِهِ وربما أجلسَه على فخذِهِ فيؤثرُه بأطيبِ الطعامِ وكانَ يُرسلُ بنيهِ فى الأمرِ فإذا غابوا بعثَ ابن ابنِهِ صلى اللهُ عليه وسلمْ فيحصلُ النَّجاحُ وما بعثَه فى شىءٍ إلاّ جاءَ بهِ ناضجاً وكانَ يُوضعُ لعبدِ المُطَّلبِ فراشٌ فى ظلِّ الكعبةِ لا يجلسُ عليهِ أحدٌ من بنيهِ إجلالاً فكانَ بنوه وساداتُ قريشٍ يُحدِقونَ بهِ وكانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم غلامٌ يأتى ويجلسَ عليهِ فيأخذُهُ أعمامُهُ ليُؤخِّروهُ عنِ الفراشِ فيقولُ جدُّهُ عبدَ المُطلبِ لما يرى ذلكَ منهمْ دعوا ابنى فواللهِ إنَّ لهُ لشأناً وأىُّ شأن ثم يجلس عليهِ معهُ ويمسحُ ظهرَهُ ويسرُّهُ ما يراهُ يصنعُ وكانَ يقولُ أرجو أن يبلغَ منَ الشَّرفِ مالا يبلغُهُ أحدٌ قبلهُ ولا بعدَهُ وكانَ قومٌ منْ بنى مُدلجَ يقولونَ لجدِّهِ احتفظْ عليهِ فإنَّا لمْ نرَ قدماً أشبهَ بالقدمِ الذى فى مقامِ إبراهيمَ منهُ وهوَ قدمُ إبراهيم الخليلَ أثرُهُ فى المقامِ وهوَ الحجرُ الذى كانَ يقومُ عليهِ عندَ

بناءِ البيتِ وقد كانَ أثرُ القدمِ ظاهراً غيرَ أنَّ مسحَ النَّاسِ بأيديهم أذهبَ ذلكَ وكذلكَ أثرُ قدمُ نبيِّنا محمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ في الحجرِ ولمْ يؤثرْ في الرَّملِ قالَ فبينما عبدُ المُطلبِ في الحجرِ وعندَهُ أسقفُ نجرانَ يحادِثه ويقولُ إنما نجدُ صفةَ نبيٍّ بقيَ منْ ولدِ إسماعيلَ وفي هذا البلدِ مولدُهُ ومنْ صفتِهِ كذا وكذا وأتى رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فنظرَ الأسقفُ إلى عينيهِ وظهرِهِ وقدمِهِ فقالَ هذا هوَ النبيُّ الموصوفُ ما هذا منكَ يا عبدَ المطلبِ فقالَ هذا ابني فقالَ لهُ لمْ نجدْ لهُ أبَاً حيَّاً فقالَ هوَ ابنُ ابني وقدْ ماتَ أبوه وأمُّهُ حاملٌ بهِ فقالَ صدقتَ هذا هوَ نبيُّ آخرِ الزَّمانِ ثمَّ قالَ عبدُ المُطلبِ لبنيهِ تحفظونَ ابنَ أخيكمْ ألا تسمعونَ قولَ الأسقفِ وما يقولُ فيهِ وذكرَ ابنَ الجوزي أنه صلى اللهُ عليهِ وسلمْ في سنةِ سبعٍ منْ مولدِهِ أصابهُ رمدٌ شديدٌ فعولجَ بمكةَ فلمْ يفدْ العلاجُ شيئاً فقيلَ لعبدِ المُطلبِ إنَّ في ناحيةِ عكاظَ راهباً يُعالجُ الأعينَ فركبَ إليهِ وناداهُ وكانَ ديرُهُ مُغلقاً فلمْ يجبْه الراهبُ فتزلزلَ ديرُهُ حتى كادَ أنْ يسقطَ عليهِ فخرجَ مُبادِراً فقالَ عبدُ المُطَّلبِ إنَّ هذا الغلامَ نبيُّ هذهِ الأمَّةِ ولو لمْ أخرجْ إليهِ لخرَّ على ديري فارجعْ بهِ واحفظْهُ لئلاَّ يقتُلهُ أهلَ

الكِتَابِ ثمَّ عالجهُ وأعطاهُ ما يُعالجهُ بهِ ولمَّا تولى سيف بن ذي يَزَنٍ المُلكَ في السَّنَةِ السَّابعَةِ مِنْ مولدِهِ أتاهُ الوفودُ والقبائلُ للتهنِئَةِ مِنْ كلِّ جانبٍ وجاءَ مِنْ جُملةِ ذلكَ وفدُ قريشٍ وكانَ فيهِمْ جدُّهُ عبدُ المُطَّلبِ وغالِبُ ووجهاتِهمْ فلمَّا أذِنَ لهمُ الملكُ بالدُّخولِ عليهِ فدَنا منهُ عبدُ المُطَّلبِ فوجدهُ جالِساً على سريرٍ مِنَ الذَّهبِ وحولهُ أشرافُ اليَمَنِ على كراسِى مِنَ الذهبِ فجَلسوا إلا عبدَ المطلبِ فقَامَ بينَ يديهِ واستَأذنهُ في الكلامِ فقالَ إنْ كنتَ مِمَّنْ يتَكلَّمُ بينَ يدَي الملوكِ فقدْ أذِنَّاكَ فقَالَ له أيُّها الملِكُ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أحلَّكَ محلاًّ رفيعاً شامخاً باذِخاً مَنيعاً فأنتَ ملكُ العربِ التى تنقادُ وعمودُها الذى عليهِ العِمادُ وكهفُها الذى تلتَجىءُ اليهِ العِبادُ ونحنُ أهلُ حرَمِ اللهِ وسَدَنَةُ بيتِهِ أي خدَمتُهُ فعندَ ذلكَ قالَ لهُ الملكُ مَنْ أنتَ أيُّها المُتَكلِّم قالَ عبدُ المُطَّلبِ بنُ هاشمٍ قالَ ابنِ أُختِنا قالَ نعَمْ قالَ ادْنُ ثمَّ أقبَلَ عليهِ وعلى القَوْمِ ورَحَّبَ بهِمْ وقال قدْ سَمِعَ الملكُ مقَالتَكمْ وقبِلَ وَسيلتَكمْ فأنتمْ أهلَ اللَّيلِ والنَّهارِ ولكمُ الكرامةُ ما أقمتمْ والحِبَاءُ إذا ظعنتمْ ثمَّ أمرَ بهمْ إلى دارِ الضِّيافة فأقاموا بها شهراً لا يصِلون إليهِ ولا يُؤذَنُ لهُمْ في الانصِرافِ ثمَّ أرسلَ إلى عبدُ المطَّلبِ فأدْناهُ وعظَّمَهُ

وَحيَّاهُ ثمَّ قالَ لهُ ياعبدَ المُطَّلبِ إنى مُفضٍ إليكَ من سرِّ علمي المُدَّخرِ أمراً لو يكُنْ غيرى لم يبُحْ بهِ ولكنْ رأيتُكَ مَعدِنهُ فأطلعتُكَ عليهِ وليَكُنْ عندَكَ هذا السِّرُّ حتى يأذنَ اللهُ فيهِ إنى أجدُ فى الكتابِ المكنُونِ والعِلم المخزُونِ الذى أدَّخرناهُ لأنفُسِنا ومَنعناهُ غيرَنا خبراً عظيماً وفيه شرَفُ الحياةِ وفضيلةُ الوَفاةِ للناسِ عامةً ولرَهطِكَ كافةً ولكَ خاصةً فقالَ لهُ أيُّها الملكُ فما هوَ قالَ إذا وُلدَ غلامٌ بتِهامةَ بينَ كتفيهِ شامةٌ كانتْ لهُ الإمامةُ ولكمْ به الزَّعامةُ إلى يومِ القيامةِ وهذا الحينُ الذى فيهِ يُولدُ أو قدْ وُلدَ اسمُهُ محمدٌ يموتُ أبوهُ وأمُّهُ ويكفلُهُ جدُّهُ وعمُّهُ قدْ وَجدْناهُ مِراراً واللهُ باعثُهُ جِهاراً وجاعِلٌ لهُ مِنَّا أنصاراً يُعزُّ بهِ أولياءَهُ ويُذِلُّ بهِ أعداءَهُ تضْربُ إليهِ جميعُ النَّاسِ فى الطُّولِ والعَرْضِ وتُستفتَحُ لهُ كُنوزُ الأرضِ يَعبدُ الرحمنَ ويُدحِضُ الشَّيطانَ ويُخمِدُ النِّيرانَ ويُكسِّرُ الأصنامَ والأوثانَ قوْلهُ فصلٌ وحكمُهُ عدْلٌ يأمرُ بالمعرُوفِ ويفعلُهُ ويَنهى عنِ المنكرِ ويُبطلهُ فقالَ لهُ عبدُ المطَّلبِ جدَّ جدُّكَ ودامَ مُلكُكَ وعلا كعبُكَ فهلِ الملكُ سارَّنى بإفصاحٍ قدْ وَضحَ لى بعضَ إيضاحٍ فقالَ والبيتِ ذى الحُجُبِ والعَلامةُ على النعْتِ إنَّكَ لجدُّهُ يا عبدُ المُطلبِ

غيرَ كذبٍ فخرَّ عبدُ المطلبِ ساجداً فقالَ لهُ الملكُ ارفعْ رأسكَ ثلجَ صدرُكَ وعلا كعبُكَ فهلْ أحسستَ بشيءٍ قالَ نعمْ أيها الملكُ إنهُ كانَ لي ابنٌ وكنتُ بهِ معجباً شفيقاً مطرباً وإني زوجتُهُ بكريمةٍ من كرائمِ العربِ آمنةَ بنتِ وهبٍ فجاءتْ بغلامٍ فسميتُهُ محمداً وحقُّهُ أنْ يحمدَ ماتَ أبوه وأمُّهُ وكفلتُهُ أنا وعمُّهُ فقالَ لهُ يا عبدَ المطلبِ إنَّ الذي قلتُ لكَ كما قلتَ فاحتفظْ على ابنِكَ واحذرْ عليهِ منَ اليهودِ فانهمْ لهُ أعداءٌ وانْ يجعلَ اللهُ لهمْ عليهِ سبيلا واطوِ ما ذكرتُ لكَ منْ هؤلاءِ الرهطِ الذينَ معكَ فاني لستُ آمناً أنْ تدخلهمْ الغيرةُ والنفاسةُ منْ أنْ تكونَ لكَ الرياسه فينصبونَ لكَ الحبائلَ ويبغونَ لهُ الغوائلَ وهمْ فاعلونَ ذلكَ وأبناؤهمْ كذلكَ ولولا أعلمُ أنَّ الموتَ مجتازٌ بي قبلَ مبعثِهِ لسرتُ بخيلي ورجلي اليهِ حتى أقدمُ عليهِ وأصيرَ بيثربَ دارِ ملكهِ فاني أجدُ في الكلامِ الناطقِ والعلمِ السابقِ أن يثربَ استحكامُ أمرِهِ ومحلُّ نصرِهِ وموضعُ قبرِهِ ولولا أني أقيهِ الآفاتِ وأحذرُ عليهِ العاهاتِ لاعلنتُ على حداثةِ سنِّهِ أمرَهُ وأعليتُ على رؤوسِ العربِ كعبهِ ولكنْ سأصرفُ ذلكَ اليكَ منْ غيرَ تقصيرٍ لديكَ ثم ادَّعى بقريشٍ وأمرَ لكلِّ واحدٍ منهمْ بعشرةِ عبيدٍ سودٍ وعشرةِ إماءٍ

سودٍ وحلتين وعشرةِ أرطالٍ ذهباً وعشرةِ أرطالٍ فضةً ومائةً من الإبلِ وكرشيٌّ مملوءاً عنبراً وأمرَ لعبدِ المطلبِ بعشرةِ أضعافِ ذلكَ وقالَ إذا جاءَ الحولُ فأنبئني بخبرِهِ وما يكونُ من أمرِهِ فماتَ الملكُ قبلَ أنْ يحولَ الحولُ ولما بلغَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمْ منَ العمرِ ثمانيةِ سنينَ توفي جدُّهُ عبدُ المطلبِ فحزنَ عليهِ الناسُ حزناً شديداً ولمْ يقمْ بمكةَ سوقٌ أياماً كثيرةً وكانَ عبدُ المطلبِ حينَ حضرتهُ الوفاةُ أوصى بالنبي صلى اللهُ عليهِ وسلمْ إلى عمِّهِ شقيقِهِ أبي طالبٍ فلما أوصى به إليهِ أحبَّهُ حبًّا شديدًا لا يحبُّهُ لأحدٍ من أولادِهِ فكانَ لا ينامُ إلاّ بجانبِهِ وكانَ يخصُّهُ بأحسنِ الطعامِ وكانَ أبو طالبٍ مقلاً منَ المالِ فكانَ عيالهُ إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لمْ يشبعوا وإذا أكل معهمْ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمْ شبعوا فكان أبو طالبٍ إذا أرادَ أنْ يغذيهمْ أو يعشيهمْ يقولُ لهمْ كما أنتم حتى يأتي ابني محمدٌ فيأتي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمْ فيأكلُ معهمْ فيفضلونَ منْ طعامِهمْ وإذا كان لبناً يشربُ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلمْ أولهمْ ثمَّ يتناولُ العيالُ العقبَ فيشربونَ منهُ فيروونَ جميعاً منَ العقبِ الواحدِ وإنْ كانَ أحدهمْ يشربُ عقباً واحدًا وكانَ الصبيانُ يصبحونَ شعثاً رمداً ويصبحُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ

عليهِ وَسلمْ دَهيناً كحيلاً قالت أمُّ أيمنَ ما رَأيتُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يَشتكى جوعاً ولا عطشاً قطّ فى صِغرهِ ولا فى كبرهِ وكانَ يغدو إذا أصبحَ فيشربُ مِنْ ماءِ زمزمَ شربةً فرُبَّما عرضتُ عليه الغذاءَ فيقولُ أنا شبعانٌ واستسقى أبو طالبٍ برسولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمْ قالَ جهلمةُ قدمتُ مكةَ وقريشٌ فى قحطٍ شديدٍ فقالَ قائلٌ منهمْ اعتمدُوا اللاتِ والعزى وقائلٌ منهُمْ يقولُ اعتمدُوا مَناةَ الثالثةَ الأخرَى فقالَ شيخٌ وسيمُ الوجهِ جيدُ الرَّأيِ أنى تؤفكونَ أىْ تُصْرَفونَ عنِ الحقِّ وفيكمْ بقيَّةُ إبرَاهيمَ وَسُلالةُ إسماعيلَ فقالوا كأنَّكَ عنَيتَ أبا طالبٍ قالَ نعَمْ ، فقامُوا بأجمعهِمْ فقمتُ معَهُمْ فدَققنَا عليهِ إزارٌ قدْ اتَّشحَ بهِ فقامُوا إليهِ فقالوا يا أبا طالبٍ قدْ قحطَ الوَادِى وأجدبَ العِيالُ فاستسقِ لنا فخرجَ أبو طالبٍ ومعهُ غلامٌ كأنهُ شمسٌ ضاحيةٌ فأخذهُ أبو طالبٍ وألصقَ ظهرَهُ بالكعبةِ وأشارَ الغُلامُ بإصبعهِ وما فى السماءِ قزعةٌ فأقبلَ السحَابُ منْ كلِّ جانبٍ فاغدَودَقَ وانفجرَ له الوَادِى وأخصبَ النادِى والبادِى وعنْ أبى طالبٍ قالَ كنتُ بذى المجازِ معَ ابنِ أخى محمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلمْ فأدركنى العطشُ فشكوتُ اليهِ ذلِكَ فقلتُ لهُ يا ابنَ أخِى قدْ عطشتُ وَما عِندِى شىءٌ منَ الماءِ وإنما حملنى على

على ذلكَ الجزعُ وعدمُ الصبرِ قال فثنى وركه وقالَ يا عمّ عطشتَ قلتُ نعمْ فهوى بعقبهِ إلى الأرضِ وفى روايةٍ فركضها برجله وقالَ شيئاً فاذا أنا بالماءِ لمْ أرَ مثلهُ فقالَ اشربْ فشربتُ حتى رويتُ فقالَ أرويتَ قلتُ نعمْ فركضها برجلهِ ثانياً فعادَتْ وسافرَ معَ عمهِ الزبيرِ بن عبدِ المطلبِ إلى اليمنْ فمرّوا بوادٍ فيهِ فحلٌ منَ الابلِ يمنعُ مَن يجتازُ فلما رآهُ البعيرُ بركَ وحكَ الأرضَ بكلاكيلهِ فنزلَ صلى اللهُ عليهِ وسلمْ عنْ بعيرهِ وركبَ ذلكَ الفحلَ وسارَ حتى جاوزَ الوادى ثم خلى عنهُ فلمّا رجعوا منْ سفرِهمْ مرّوا بوادٍ مملوءٍ ماءً يتدفقُ فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمْ اتبعونى فأيبسَ اللهُ الماءَ فلما وصلوا إلى مكةَ تحدثوا بذلكَ فقالَ الناسُ إن لهذا الغلامُ لشأناً ويُقالُ أنَّ رجلاً مِنْ لهبٍ كانَ قائفاً وكانَ إذا قدمَ مكةَ أتاهُ رجالٌ مِنْ قريشٍ بغلمانِهم ينظرونَ المُقيفَ فأتى أبو طالبٍ بالنبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلمْ وهوَ غلام معَ منْ يأتيهِ فنظرَ إليهِ ثمْ شُغِلَ عنهُ بشيءٍ فلما فرغَ قالَ عليَّ بالغلامِ الذى رأيتهُ آنفاً فواللهِ ليكونن لهُ شأن وجعلَ يقولُ ردّوا عليَّ الغلامَ فلمّا رأىَ أبو طالبٍ حرصهُ عليه غيبهُ عنهُ وانطلقَ بهِ ولما بلغَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم تسعَ سنينَ سافرَ معَ عمهِ أبى طالبٍ إلى الشامِ

وذلكَ لما تهيّأ عمهُ للرحيلِ إلى الشّامِ أتاهُ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمْ ومَسك بزمامِ ناقتهِ وقالَ ياعمْ إلى منْ تكلني لا أبَ لى ولا أمَّ فرَقّ له أبو طالبٍ وأخذَهُ معَهُ وأردَفهُ خلفَهُ فسارُوا به حتى نزَلوا على ديرٍ فقالَ صاحب الديرِ لمّا رأى النّبيَّ صلى اللهُ عليهِ وَسلم لأبى طالبٍ ما هذا الغلامُ منكَ قال ابنى قالَ ما هوَ ابنكَ وما ينبغى أنْ يكونَ لهُ أبٌ حيٌّ هذا نبيٌّ فقالَ أبو طالب لصاحبَ الديرِ وما يكونُ النبيُّ قالَ الرّاهبُ النبيُّ الذِى يأتيهِ الخبرُ مِنَ السّماءِ فيُنَبِئُ أهلَ الأرضِ بهِ فقالَ أبو طالبٍ اللهُ أجلُّ مما تقولُ ثمَّ قالَ لهُ يا هذَا اتّقِ اللهَ عليهِ منَ اليهودِ ثمَّ سارَ به حتى نزَلَ بديرٍ آخرَ فجاءَ الرّاهبُ صاحبُ الديرِ وقالَ لأبى طالبٍ ما هذَا الغلامُ منكَ قالَ ابنى قالَ وما ينبغى أن يكونَ لهُ أبٌ حيٌّ قالَ أبو طالبٍ وَلمَ قالَ لأنَّ وجههُ وجهُ نبيٍّ وعيناهُ عينَا نبيٍّ فقال أبو طالبٍ للنبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم يا ابنَ أخى ألا تسمعُ ما يقولُ هذا الراهبُ قالَ أىْ يا عمِّ لا تُنكرُ للهِ قُدْرَةً فلمّا نزَلَ الركْبُ بُصرَى وَكانَ بها راهبٌ عظيمٌ يسمّى بُحيرَا فى صَومعَةٍ لهُ وكانَ انتهى لهُ علمُ النصرانيّةِ وكانتْ أكابرَ عنْ أكابرٍ وكانَ منْ أوْسياءِ عيسى عليهِ الصّلاةُ والسلامُ وكانتْ قريشٌ كثيراً ما تمرُّ عليهِ فلاَ يُكلّمُهمْ وَلا يَلتفتُ اليهمْ حتى مرّ معَهمُ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ

وسلمْ فرآهُ وهوَ فى صومعتِهِ مُقبلاً معهمْ غمامةٌ تُظلِلُهُ مِنْ بينِ القومِ فلمّا نزلوا نزلَ النبى صلى اللهُ عليهِ وسلم تحتَ الشجرةِ فنظرَ الرّاهبُ إلى الغمامةِ قدْ ظلّلتْ عليهِ ومالتْ أغصانُ الشّجرةِ عليهِ قالَ فصنعَ الرّاهبُ طعاماً وأرسلَ إلى القومِ إنى قدْ صنعتُ لكمْ طعاماً وأحبُّ أنْ تحضروا كلُّكمْ كبيرُكمْ وصغيرُكمْ عبدُكمْ وحرُّكمْ فقالَ لهُ رجلٌ منهمْ يا بُحيرا إنّ لكَ اليومَ شأناً فإنّا كنّا ننزلُ بكَ ونمرُّ عليكَ كثيراً ما رأيناكَ تصنعُ بنا ذلكَ فما شأنُكَ اليومَ فقالَ لهُ بُحيرا صدقتَ قدْ كانَ ما تقولُ ولكنّكمْ ضيوفٌ ولقدْ أحببتُ أنْ أكرمكمْ وأصنعَ لكمْ طعاماً تأكلونَ منهُ كلُّكمْ فأتوا كلُّهمْ إلى بُحيرا وتخلّفَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم لحداثةِ سنِّهِ فى رجالِ القومِ فلمّا نظرَ بُحيرا إلى القومِ ولمْ يرَ الصِّفةَ التى عندَهُ علمُها ورأى الغمامةَ لمْ تنتقلْ منْ على الشّجرةِ التى هى جالسٌ تحتَها رسولُ اللهِ صلى اللهِ عليهِ وسلمْ قالَ يا معشرَ قريشٍ لا يتخلّفْ أحدٌ منكمْ عن طعامى فقالوا يا بُحيرا ما تخلّفَ أحدٌ منّا عنْ طعامكَ إلاّ غلامٌ وهوَ حديثُ السِّنِّ قالَ بُحيرا لا تفعلوا أحضروا هذا الغُلامَ فقالَ القومُ هوَ واللهِ أوسطُنا نسباً وهوَ ابنُ أخى هذا الرّجل يعنونَ أبا طالبٍ

وَهوَ مِنْ وَلَدِ عبدِ المطلبِ فقَالَ رَجلٌ مِنْ قريْش واللاَّتَ وَالعُزَّى إنهَ لوَمٌ بنَا أنْ يتخلفُ ابنُ عبدِ المطَّلبِ عنْ طعامٍ بيننَا ثمَّ قامَ اليهِ فاحتضنَهُ وجاءَ بهِ وأجلسَهُ معَ القوْمِ ولمَّا سارَ من احتضَنه صارَتِ الغمامةُ تسيرُ على رأسهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلمْ فلمَّا رَأى بَحيرا ذلكَ جعَلَ يلحظهُ لحظاً شديداً ويرْمقُ إلى أشياءٍ فى جسدهِ قدْ كانَ يجدُها عندَهُ مِنْ صفَتهِ فلمَّا فرغَ القوْمُ مِنْ طعَامِهمْ وتفرقوا قامَ بُحيرَا إلى رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلمِ وقالَ لهُ أسألك باللاَّتِ والعُزَّى إلاَّ ما أخبرْتَني عنْ ما أسألُكَ عليْهِ فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم لا تسئَلني باللاَّتِ والعُزَّى شيئاً فواللهِ ما أبغَضُ شيئاً قطُّ بُغضَهَا فقَالَ لهُ بُحيرَا فباللهِ إلا ما أخبرتني عنْ ما أسألُكَ عنْهُ فقَالَ سلني عنْ ما بدالكَ فجَعلَ يسْأله عنْ أشيَاءَ منْ نوْمهِ وهيئتهِ وأمورهِ وَرَسولُ اللهِ صلى الله عليْهِ وَسلمْ يُوافِق ما سأَلَ عنهُ بحيرَا ثمَّ كشفَ عنْ ظهْرهِ فرَأى خاتمَ النُّبُوَّةِ بينَ كتفَيهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلمْ على الصفَةُ التى عِنْدَهُ فقبَّلَ بحيرا موْضعَ الخاتمِ فلمَّا رَأتْ قرَيشُ ذلكَ قالتْ إنَّ لمحمَّدٍ عندَ هذا الرَّاهبِ لقَدْراً فلمَّا فرَغَ أقبَلَ على عمِّهِ أبى طالبٍ وَقالَ لهُ ما هذا الغُلام منكَ قالَ ابنى قالَ ما هوَ ابنكَ وما ينبَغى لهذا الغلامِ أنْ يكونَ

له أب حي فقال هو ابن أخي قال فما فعل بأبيه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلاده واحذر عليه من اليهود فوالله لئن رآه اليهود وعرفوا منه ما عرفت ليقتلونه سراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم واعلم أنى قد أديت لك النصيحة فأسرع به إلى بلده فرجع به عمه وفى أخرى لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبى صلى وسلم فى أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب كانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يلتفت اليهم فنزل لهم صومعته وجعل يتخللهم حتى جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه بيده ثم قال هذا سيد المرسلين ورسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الأشياخ من قريش ما أعلمك بهذا فقال إنكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبى وإنى لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه صلى الله عليه وسلم مثل التفاحة ثم رجع وصنع لهم طعاماً فلما أتاهم بالطعام كان النبى صلى الله عليه وسلم فى رعاء الإبل فقال وأين الغلام فأرسلوا اليه فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله تسير أين سار فلما دنا من القوم وجدهم قد

سبقوه إلى فيء الشجرة فجلس بعيداً عنها فمالت بأغصانها عليه فقال الراهب يا قوم انظروا إلى فيء هذه الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فالتفت فإذا بسبعة من الروم قد أقبلوا فاستقبلهم وقال لهم ما جاء بكم قالوا جئنا إلى هذا النبي الذي هو خارج في هذا الشهر لم يكن طريق إلا بعثنا عليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره بطريق هذا فقال أفرأيتم أمراً أراد الله إنفاذه وحصوله هل يرده أحد من الناس رده فقالوا لا فبايعوه أن لا يؤذوه وأقاموا عند الراهب خوفاً على أنفسهم ممن أرسلوهم له إذا رجعوا بدونه فقال بحيرا لقريش أنا أنشدكم بالله أيكم وليه فقالوا أبو طالب فلم يزل يناشده بالله أن يرده حتى رده أبو طالب معه ، وفي رواية بعث معه أبا بكر وزوده بحيرا من الكعك والزبيب وقد حفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم في سفره من أمر الجاهلية وأقدارهم ومعاندتهم لما يريده الله من كرامته حتى صار أحسنهم خلقاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزيهاً وتكريماً حتى كان أفضلهم مروءة وخيرهم جواراً وأعظمهم حلماً وأمانة وكانوا يسمونه الصادق الأمين لما جمع فيه من الأمور الصالحة

ليدةِ والأفعالِ السديدةِ من الحلمِ والصبرِ والشكرِ والعدلِ
والزهدِ والتواضعِ والعفةِ والجودِ والشجاعةِ والحياءِ والمروءةِ
فمن ذلكَ ما ذُكِرَ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ رأيتني
في غلمانٍ من قريشٍ ننقلُ الحجارةَ لبعضِ ما يلعبُ بهِ
الصبيانُ وكلُّنا قدْ تعرّى وأخذَ ازارَهُ على رقبتِهِ يحملُ
الحجارةَ واني لا أفعلُ معهم كذلكَ فأتاني رجلٌ يكلّمني
ما أراها كلمةً وجيعةً ثمّ قالَ لي شُدَّ عليكَ ازاراً فشددتُهُ
ثمّ جعلتُ أحملُ على رقبتي وازاري عليَّ من بينَ أصحابي .
ن ابنِ اسحاقَ ، قالَ كانَ أبو طالبٍ يعالجُ زمزمَ وكانَ النبيُّ
اللهُ عليهِ وسلم ينقلُ الحجارةَ وهوَ غلامٌ فأخذَ ازارَهُ
الحجارةَ فغشيَ عليهِ فلمّا أفاقَ سألهُ فقالَ أتاني آتٍ عليهِ
بيضٌ فقالَ لي استترْ فما رُؤيتْ عورتهُ صلى اللهُ عليهِ
م من يومئذٍ ومنْ ذلكَ ما جاءَ عنْ عليّ كرّمَ اللهُ وجهَهُ قالَ
سمعتَ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم يقولُ ما هممتُ بقبيحٍ مما
همّ بهِ أهلُ الجاهليةِ إلا مرّتينِ منَ الدهرِ كلتاهُما عصمني اللهُ
منهُما قلتُ ليلةً لبعضِ فتيانِ مكةَ ونحنُ في رعاءِ غنمِ أهلِنا
أبصرْ لي غنمي حتى أسمرُ هذهِ الليلةَ بمكةَ كما يُسمرُ الفتيانَ
قالَ نعم فخرجتُ فلمّا جئتُ أدنى من دورِ أهلِ مكةَ سمعت

...اء وصوتَ دفٍّ ومزاميرَ فقلتُ ما هذا فقالوا فلاناً يتزوج ...
لانه رجلٌ من قريشٍ فلهوتُ بذلكَ الصوتِ حتى غلبتني عيني
فنِمتُ فما أيقظني الا حرُّ الشمسِ فرجعتُ الى صاحبي فقالَ
ما فعلتُ فأخبرتُه ثمّ فعلتُ الليلةَ الأخرى مثلَ ذلكَ فواللهِ
ما هممتُ ولا عدتُ بعدهما لشيءٍ من ذلكَ حتى أكرمني الله
بنبوّتهِ ؛ وفي هذا القدرِ كفايةٌ لما وردَ عن سيد
المرسلينَ ؛ ورسولِ ربِّ العالمينَ . صلى اللهُ عليهِ وعلى آله
وصحبهِ وسلم . كلّما ذكرهُ الذاكرونَ وغفلَ عن ذكره
الغافلونَ آمينَ .

تمّ الكتابُ بعونِ اللهِ تعالى

أ / شعبان صبره